The position of idols in the belief of the pagans of pre-Islamic times

Dr. Youssef Zarda*

(Received 10 / 6 / 2023. Accepted 6 / 9 / 2023)

□ ABSTRACT □

This research has focused on the status of idols in the belief of the pagans of the pre-Islamic Arabs. It starts off by mentioning the construction of our master Ibrahim (PBUH) the ancient house in Mecca as the first Arabic place in and around which idols were erected. Then the relationship of the body of Adam (PBUH) with the first idol known to humanity is highlighted، moving، after that، to talking about the first idols known to mankind in India، which were swept away by the flood of Noah from Mount Nouz in India to the city of Jeddah in the Arabian Peninsula. Those idols were then brought by the servant of Kaaba، at the time، Amru Bin Luhai، to Mecca. There، he called on the Abrahamic Arabs pilgrims of the ancient House to venerate them، and to draw closer to God by circumambulating and turning around them، following in the steps of the Cain people who made the first idol symbolizing the body of their father، Adam. After that، we have talked about the struggle of Ismail bin Ibrahim people with each other over the residence in Mecca، a struggle that resulted in some of them forced to leave. Those who left took stones from Mecca as a souvenir، and those stones were erected anywhere they lived in the land of the Arabian Peninsula، and became Idols for them in their homes، circumambulating them، which spared them the trouble of traveling to Mecca to circumambulate its idols. Next، the focus of this research has shifted to the norms and rituals of worship among the Arabs، since Abraham called people to the pilgrimage to the ancient house، until the advent of Islam، shedding light on some of their habits and social customs related to religion، and on the rituals of their pilgrimage at the time of our master Ibrahim، before they became acquainted with idols. Then these customs and social norms، together with religious rituals، has been compared with the corresponding customs and customs of the pre-Islamic Arabs، and the rituals of pilgrimage among the pagan Arabs، but rather among the Muslims after them. We have found no differences in the way of resorting to worshipping God among the doctrine of Arabs related to Ibrahim، before and after their knowledge of idols، and later that doctrine of the Muslims who demolished the idols with their own hands; The one and only God is the deity that the Arabs turned to in worship، since they made a pilgrimage to the ancient house at the time of our master Ibrahim، passing through the pilgrimage to it after its sides were surrounded by idols، up to the rituals of the Muslims' pilgrimage to the ancient house، after they stripped it of its idols and returned it to The form in which our master Ibrahim left; the innocence of the pagans from worshiping idols، but rather from worshiping other than God، idols or non-idols، has been، for us، clear and evident، in their striking those idols، and their drawing closer to God by slaughtering sacrifices there، and in their insistence، according to the Holy Qur'an، that they do not worship idols. They only draw closer to God through them، and their innocence from idolatry has been clear to us through their rebuke and reproach of idols، whenever they were disappointed in them، and saw what they did not like. This was also reflected in their enemies' confirmation of their God's monotheism، reflected in the words of some of their opponents: "The pagans used to unite God with the Talbiyah، … and make their idols' possession in His hand."

Keywords: idols، pagans of ignorance، circumambulation of idols، Al-Lat، Al-Uzza، Manat، Hubal، Ummians ، Dhul- Khalas ، Wad، Sawa، Relief، Obstruction، Eagle، Isaf، Naila**.**

Copyright **:**Tishreen University journal-Syria, The authors retain the copyright under a CC BY-NC-SA 04

* **Assistant professor at Arabic language department, Tishreen University, Latakia.**

موقع الأصنام من عقيدةِ وَثَنيي الجاهليّة

د. يوسف زردة*

(تاريخ الإيداع 10 / 6 / 2023. قبل للنشر في 6 / 9 / 2023)

ملخّص

تَمَحْوَرَ هذا البحثُ حولَ موقعِ الأصنامِ من عقيدةِ وَثنيّي الجاهليّة العرب. فتحَدَّثنا فيه عن تشييدِ إبراهيمَ عليه السلامُ البيتَ العتيقَ في مَكَّة بوصفهِ أوّلَ مكانٍ عربيٍّ نُصِبتِ الأصنامُ فيهِ وحولَه، ثمَّ تحدَّثنا عن علاقةِ جثمانِ آدمَ (ع) بالصَّنمِ الأوَّلِ الذي صَنَعَهُ بنو قابيلَ على هيئةِ أبيهم آدمَ، وانتقلنا من ذلك إلى الحديث عن المجموعة الأُولَى من الأصنامِ التي عَرَفَتْها البشريةُ في بلاد الهند، التي جَرَفَها طُوفانُ " نُوْحٍ" من جبلِ "ثُوْذ" في بلاد الهند، إلى مدينة "جُدَّة" في الجزيرة العربية؛ ليأتي بها سادِنُ الكعبةِ، عمرُو بنُ لُحَي، من جُدَّة، إلى مكَّة، ويدعو حُجَّاجَ البيتِ العتيقِ من العربِ الإبراهيميينَ إلى تعظيمَها، والتَّقرُّبَ إلى الله بالطَّوافِ بها، والدَّوَران حولَها، تَأسِّياً بما كان يفعله بنو قابيل بأوَّلِ صَنَمٍ حاكوا به جثمانَ أبيهم آدمَ. وبعدَ ذلك تحدَّثنا عن صراع بني إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ فيما بينَهم على السُّكْنَى في مكّةَ صراعاً هَجَّرَ ـ على إثرِهِ ـ بعضُهم بعضاً منها، فحَمَلَ الذين أُرْغِموا على مغادرتها أحجاراً من مَكَّةَ تُذَكِّرُهُم بها، ثمَّ نصبوا هذه الأحجارَ المَكِّيَّةَ حيثُما حَلُّوا من أرض شبه الجزيرة العربية، فصارتْ هذه الأحجارُ المَكِّيَّةُ أصناماً لهم في ديارهم، يُغْنِيْهُمُ الطَّوافُ بها، عن مكابدةِ السَّفرِ إلى مَكَّةَ للطَّوافِ بأصنامِها. وبعد ذلك انتقلنا إلى الحديث عن طقوس العبادة عند العرب وشعائرها مُذْ دعا إبراهيمُ النّاسَ إلى حجِّ البيتِ العتيقِ، إلى حينِ ظهور الإسلام، فألقينا الضوءَ على بعضٍ من عاداتِهم وأعرافِهم الاجتماعيّةِ المُتَّصلةِ بالدين، وعلى شعائرِ حَجِّهِمْ زَمَنَ سيِّدنا إبراهيم، قبلَ معرفتِهم الأصنامَ، ثمَّ قارَنّا هذه العاداتِ والأعرافَ الاجتماعيّةَ، والشعائرَ الدينيّةَ بما يقابلُها من عاداتِ وأعرافِ عربِ الجاهليّة، وشعائرِ الحَجِّ عندَ وثنيّي العرب، بل عندَ المسلمينَ بَعْدَهم، فما رأينا فَرْقاً ـ من حيثُ التَّوَجُّهُ إلى اللهِ بالعبادةِ ـ بينَ العقيدةِ التي كان العربُ الإبراهيميون عليها قبلَ معرفتهم الأصنامَ، وتلك التي صاروا إليها بعدَ معرفتهم الأصنامَ، ثمَّ تلك العقيدةِ التي أشادَها المسلمونَ على رُكامِ الأصنامِ التي هدموها بأيديهم؛ فاللهُ الواحدُ الأحدُ هو المعبودُ الذي توجَّهَ إليهِ العربُ بالعبادةِ، مذْ حَجُّوا إلى البيتِ العتيقِ زمَنَ سيّدنا إبراهيم، بل قبلَ ذلكَ أيضاً، مروراً بالحجِّ إليه بعدما حَفَّتْ بِجَنَبَاتِهِ الأصنامُ، وصولاً إلى شعائرِ حَجِّ المسلمينَ إلى البيت العتيقِ، بعدَ أنْ جَرَّدوهُ من الأصنام، وأعادُوه إلى هيئته التي تركَهُ عليها سيِّدنا إبراهيم؛ فبراءةُ الوثنيين من عبادةِ الأصنام، بل من عبادةِ غيرِ الله، أصناماً كانتْ أو غيرَ أصنامٍ، كانت ـ بالنسبة إلينا ـ واضحةً جليّةً، في ضربهم بالقِداح عندَ الأصنام، وتَقَرّبهم إلى الله بذبح الأضاحي عندَها، وفي اعترافِ القرآن الكريم لهم بأنَّهم لا يعبدونَ الأصنامَ، إنما يتقرَّبون بها إلى الله زُلْفى، وكذلك كانتْ براءَتُهم من عبادة الأصنام واضحةً لنا من خلال تقريعِهِمُ الأصنامَ وتوبيخِها، كلَّما خابَ بها ظَنُّهم، ورأوا عندَها ما لا يروقُ لهم، ثمَّ في اعتراف أعدائِهم لهم بتوحيد الله، مُمَثَّلاً هذا الاعترافُ بقول بعض خصومهم عنهم: "كان الوثنيون يُوَحِّدُونَ اللهَ بِالتَّلْبِيَةِ، وَيَجْعَلُونَ مِلْكَ أصنامِهم بِيَدِهِ". ولمّا كان توحيدُ اللهِ والشركُ به ضدّين، لا يَصِحُّ اجتماعُهُما عَقْلاً، فقد صحَّ عندنا أنَّ وثنيّي الجاهليّة لم يَعْبُدُوا غيرَ الله، وما عبدوا صَنَماً قَطُّ.

الكلمات المفتاحيّة: الأصنام، وثنيو الجاهليّة، الطَّواف بالأصنام، الّلات، العُزّى، مَناة، هُبَل، عُميانس، ذو الخَلَصة، وَدٌّ، سُواع، يغوث، يعوق، نَسْر، إساف، نائلة.

حقوق النشر : مجلة جامعة تشرين- سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب الترخيص CC BY-NC-SA 04

* أستاذ مساعد – قسم اللغة العربية -كلية الآداب ـ جامعة تشرين – اللاذقية- سورية.

مقدمة

تَمَحْوَرَ هذا البحثُ حولَ موقعِ الأصنامِ من عقيدةِ وَثنيّي الجاهليّة العرب. فتحَدَّثنا فيه عن تشييدِ إبراهيمَ عليه السلامُ البيتَ العتيقَ في مَكَّة بوصفهِ أوّلَ مكانٍ عربيٍّ نُصِبتِ الأصنامُ فيهِ وحولَه، ثمَّ تحدَّثنا عن علاقةِ جثمانِ آدمَ (ع) بالصَّنَمِ الأوَّلِ الذي صَنَعَهُ بنو قابيلَ على هيئةِ أبيهم آدمَ، وانتقلنا من ذلك إلى الحديث عن المجموعة الأُولَى من الأصنامِ التي عَرَفَتْها البشريةُ في بلاد الهند، التي جَرَفَها طُوفانُ " نُوْحٍ" من جبلِ "ثُوْذ" في بلاد الهند، إلى مدينة "جُدَّة" في الجزيرة العربية؛ ليأتي بها سادِنُ الكعبةِ، عمرُو بنُ لُحَي، من جُدَّة، إلى مكَّة، ويدعو حُجَّاجَ البيتِ العتيقِ من العربِ الإبراهيميينَ إلى تعظيمَها، والتَّقرُّبَ إلى الله بالطَّوافِ بها، والدَّوَران حولَها، تأسِّياً بما كان يفعله بنو قابيل بأوَّلِ صَنَمٍ حاكوا به جثمانَ أبيهم آدمَ. وبعدَ ذلك تحدَّثنا عن صراع بني إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ فيما بينَهم على السُّكْنَى في مكّةَ صراعاً هَجَّرَ ـ على إثرِهِ ـ بعضُهم بعضاً منها، فحَمَلَ الذين أُرْغِموا على مغادرتها أحجاراً من مَكَّةَ تُذَكِّرُهُم بها، ثمَّ نصبوا هذه الأحجارَ المَكِّيَّةَ حيثُما حَلُّوا من أرض شبه الجزيرة العربية، فصارتْ هذه الأحجارُ المَكِّيّةُ أصناماً لهم في ديارهم، يُغْنِيْهُمُ الطَّوافُ بها، عن مكابدةِ السَّفرِ إلى مَكَّةَ للطَّوافِ بأصنامِها. وبعد ذلك انتقلنا إلى الحديث عن طقوس العبادة عند العرب وشعائرها مُذْ دعا إبراهيمُ النّاسَ إلى حجِّ البيتِ العتيقِ، إلى حينِ ظهور الإسلام، فألقينا الضوءَ على بعضٍ من عاداتِهم وأعرافِهم الاجتماعيّةِ المُتَّصلةِ بالدين، وعلى شعائرِ حَجِّهِمْ زَمَنَ سيِّدنا إبراهيم، قبلَ معرفتِهم الأصنامَ، ثمَّ قارَنّا هذه العاداتِ والأعرافَ الاجتماعيّةَ، والشعائرَ الدينيّةَ بما يقابلُها من عاداتِ وأعرافِ عربِ الجاهليّة، وشعائرِ الحَجِّ عندَ وثنيّي العرب، بل عندَ المسلمينَ بَعْدَهم، فما رأينا فَرْقاً ـ من حيثُ التَّوَجُّهُ إلى اللهِ بالعبادةِ ـ بينَ العقيدةِ التي كان العربُ الإبراهيميون عليها قبلَ معرفتهم الأصنامَ، وتلك التي صاروا إليها بعدَ معرفتهم الأصنامَ، ثمَّ تلك العقيدةِ التي أشادَها المسلمونَ على رُكامِ الأصنامِ التي هدموها بأيديهم؛ فاللهُ الواحدُ الأحدُ هو المعبودُ الذي توجَّهَ إليهِ العربُ بالعبادةِ، مذْ حَجُّوا إلى البيتِ العتيقِ زمَنَ سيّدنا إبراهيم، بل قبلَ ذلكَ أيضاً، مروراً بالحجِّ إليه بعدما حَفَّتْ بِجَنَباتِهِ الأصنامُ، وصولاً إلى شعائرِ حَجِّ المسلمينَ إلى البيت العتيقِ، بعدَ أنْ جَرَّدوهُ من الأصنام، وأعادُوه إلى هيئته التي تركَهُ عليها سيِّدنا إبراهيم؛ فبراءَةُ الوثنيين من عبادةِ الأصنام، بل من عبادةِ غيرِ الله، أصناماً كانتْ أو غيرَ أصنامٍ، كانت ـ بالنسبة إلينا ـ واضحةً جليّةً، في ضربهم بالقِداح عندَ الأصنام، وتَقَرّبهم إلى الله بذبح الأضاحي عندَها، وفي اعترافِ القرآن الكريم لهم بأنَّهم لا يعبدونَ الأصنامَ، إنما يتقرَّبون بها إلى الله زُلْفى، وكذلك كانتْ براءَتُهم من عبادة الأصنام واضحةً لنا من خلال تقريعِهِمُ الأصنامَ وتوبيخِها، كلَّما خابَ بها ظَنُّهم، ورأوا عندَها ما لا يروقُ لهم، ثمَّ في اعتراف أعدائِهم لهم بتوحيد الله، مُمَثَّلاً هذا الاعترافُ بقول بعض خصومهم عنهم: "كان الوثنيون يُوَحِّدُونَ اللهَ بِالتَّلْبِيَةِ، وَيَجْعَلُونَ مِلْكَ أصنامِهم بِيَدِهِ". ولمّا كان توحيدُ اللهِ والشركُ به ضدّين، لا يَصِحُّ اجتماعُهُما عَقْلاً، فقد صحَّ عندنا أنَّ وثنيّي الجاهليّة لم يَعْبُدُوا غيرَ الله، وما عبدوا صَنَماً قَطُّ.

أهمية البحث واهدافه:

طالما قلتُ لنفسي: أليس عجيباً أنْ يأتي الإنسانُ ـ كائناً مَنْ كانَ هذا الإنسانُ ـ بِحَجَرٍ يغرِسُهُ بيديه في هذا المكان أو ذاك، ثمَّ يعبُدُهُ بوصفِهِ إلاهَهُ وخالقَهُ ورازقَهُ؟! والحقيقةُ أنّي كنتُ على يقينٍ تامٍّ باستحالةِ أنْ تَصلَ البلاهةُ بالإنسانِ إلى هذا الدَّرْكِ من الإسفافِ في التفكير. ولكنَّ مَضاءَ سلاحِ ثقافةِ العَوامّ، مُمَثَّلةً بعدم قبولهم بأقلَّ من وصف كلِّ مَنْ لَمْ يُسْلِمْ من عرب الجاهليّة بالضَّلال أو الكفر أو الشِّرْك، يقطعُ لسانَكَ، ويجعلُ كلَّ كلامٍ آخرَ لكَ، مُختَلِفٍ عمّا يقولونه هُراءً، وأشْبَهَ بصرخةٍ في وادٍ، بلْ أشبهَ بما تُحَدِّثُ به نفسَك في وادٍ.

هذا الإحساسُ بالظُّلم الواقعِ على أجدادنا، عَرَبِ ما قبلَ الإسلامِ، دفعني إلى محاولةِ تَبَيُّنِ حقيقةِ موقعِ الأصنامِ من عقيدةِ أسلافِنا الذين جَرَّدَتْهُم هزيمتُهُمُ العسكريّةُ أمامَ خصومِهِم المسلمينَ من أيِّ قلمٍ أو قِرطاسٍ يدافعونَ به عن أنفسهم؛ إذْ ليس للمهزومِ قولٌ فيمَنْ هزَمَهُ. أمّا المُنتصرُ، فيقول في المغلوبِ ما يشاؤُه، كيفَ لا والتاريخُ يكتبه الأقوياءُ، بل يكتبهُ المنتصرونَ من الأقوياء وحسْبُ.

منهج البحث:

لقد فرضتْ مادّةُ هذا البحثِ عليَّ اعتمادَ منهجينِ اثنين، أحدُهُما تاريخيٌّ، والآخرُ نقديٌّ تحليليٌّ؛ فأفدتُ من المنهج التاريخيِّ ما تمَثَّلَ في تَتَبُّعِي مادَّةَ الأصنامِ منذُ نشأتِها في بلاد الهندِ، مروراً بمجيئها إلى مكّةَ، وصولاً إلى انتشارها في

مختلف أنحاء شبهِ الجزيرة العربيّة. وأفدْتُ من المنهج النقديِّ التحليليِّ ما تمثَّلَ فيما أثْبتُهُ من تفاسيرِ آياتٍ قرآنيّة، والتَّعقيبِ على هذه التَّفاسيرِ بما هو مناسبٌ لها من تأييدِ بعضِ ما جاء فيها، وعدمِ قبولِ بعضِها الآخر، لمِا وجدناهُ فيها من خضوعِ المُفسِّرينَ لسَطْوة الأحكامِ المُسَبَّقة على أقلامِهم، كما تمثَّل اعتمادُنا هذا المنهج فيما عَقَّبنا به على بعضِ مفردات العقيدة الوَثَنيّة، التي أَفَدْنا بعضَها من الرسول العربي الكريم نفسِهِ قبل مَبْعَثِهِ نَبيّاً، وأفدنا بعضَها الآخرَ من وَثنيينَ جاهليينَ لم يدركوا الإسلام، وآخرينَ غادروا الوثَنيّةَ وأسلموا.

ـ إبراهيمُ عليه السَّلامُ في طريقهِ إلى مكَّةَ لبناءِ الكَعْبةِ فيها:

قد لا يكونُ ثَمَّةَ بُدٌّ من تصديرِ الحديثِ عن أصنامِ العربِ، بالحديث عن مكَّةَ، بل عن تشييدِ الكعبةِ فيها، على وجه الخصوص؛ لأنَّها كانت مَحَجَّ العرب الذي مارسوا فيه ـ وما زالوا ـ طقوسَهم وشعائرَهم الدّينيّةَ، مُذْ شيَّدهُ سيِّدُنا إبراهيمُ، إلى يومنا هذا، فلم يَسُغْ لذلك الحديثُ عن الأصنامِ في الجاهليّةِ ما لم يُصدَّرْ بالحديثِ عن الكعبةِ المَكِّيّة[1]، بوصفها أوَّلَ بيتٍ عربيٍّ جُعِلتِ الأصنامُ فيهِ وحولَهُ، ثمَّ بعيداً عنه بعدَ حينٍ، كما سيبينُ لنا.

جاءَ في بعض كتبِ الأخبارِ أنَّ اللهَ أمَرَ نبيَّهَ إبْرَاهِيمَ بِبِنَاءِ الْبَيْتِ الْعتيقِ، وسَخَّرَ له ريحاً برأسَينِ اثنينِ أسماها السَّكينةَ، وأمرَهُ ببناءِ البيتِ حيثُ تستقرُّ هذه الريحُ، فحَمَلَتِ السَّكينةُ إبراهيمَ وَسارَتِ به، حتى إذا وصلتْ مكَّةَ "تَطَوَّتْ عَلَى مَوْضِعِ الْبَيْتِ كَتَطَوِّي الْحَيَّةِ[2]" فأُمِرَ إبراهيمُ ببناءِ البيتِ العتيقِ حيثُ استقرَّتْ أو تَطَوَّتْ هذه الريحُ.

ترجَّلَ إبراهيمُ عن ظهرِ السَّكينةِ، فوجدَ ابنَهُ إسماعيلَ يُصْلِحُ نَبْلاً له[3]، فأخبرَهُ بما أُمِرَ به، وطلب منه أن يُعينَهُ على القيام بمُهِمَّتِهِ، فأجابَ إسماعيلُ أباهُ، وجعلَ يناولُهُ الحِجارةَ، وجعل إبراهيمُ بدوره يضعُ بعضَها فوقَ بعضٍ حتى إذا فرغَ من بِنَاءِ الْبَيْتِ، أَمَرَهُ اللَّهُ أَنْ يُؤَذِّنَ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ، فَنَادَى: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ، في إشارةٍ منه إلى البناءِ الذي فرغَ لتَوّهِ من تشييدِهِ، فاستجابَ له كلُّ مَنْ آمَنَ مِمَّنْ سَبَقَ فِي عِلْمِ اللَّهِ قائلينَ له: لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ. ثُمَّ خَرَجَ إبراهيمُ بابنِهِ إِسْمَاعِيلَ ومَنْ مَعَهُ **من المسلمينَ** إِلَى التَّرْوِيَةِ، فَنَزَلَ بِهِم مِنَىً، ليُصَلِّي بِهِمُ الظُّهْرَ، ثمَّ الْعَصْرَ، فالْمَغْرِبَ، فَالْعِشَاءَ الْآخِرَةَ، ثُمَّ بَاتَ حَتَّى أَصْبَحَ، فَصَلَّى بِهِمُ الْفَجْرَ، وسَارَ إِلَى عَرَفَةَ، فَأَقَامَ بِهِمْ فيها، حَتَّى إِذَا مَالَتِ الشَّمْسُ، جَمَعَ بَيْنَ صَلَاتَيِ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ، ثُمَّ رَاحَ بِهِمْ إِلَى الْمَوْقِفِ مِنْ عَرَفَةَ، فإذا غَرَبَتِ الشَّمْسُ اصطَحَبَ إسماعيلَ ومَنْ مَعَهُ من **المسلمين** حَتَّى أَتَى الْمُزْدَلِفَةَ، فَجَمَعَ بين صَلَاتَيْ الْمَغْرِبِ، وَالْعِشَاءِ الْآخِرَةِ، وبَاتَ فيها، ثمَّ صَلَّى الْفَجرَ، ووَقَفَ عَلَى قُزَحٍ، فإِذَا أَسْفَرَ صحِبَ القومَ ليُرِيهِم وَيُعَلِّمَهُم مناسكَ الحجِّ، فرَمَى الْجَمْرَةَ، وَأَرَاهُمُ الْمَنْحَرَ، ثُمَّ

---

[1] ـ عرفت شبه الجزيرة العربية أكثر من كعبة، أو أكثر من بناءٍ أطلق عليه اسم الكعبة، منها ـ على سبيل المثال ـ كعبة نجران، التي أراد بها أصحابُها بنو عبد المَدان بن الدَيّان الحارثي مضاهاةَ كعبة مكَّة، وهي قُبَّةٌ ضَخْمَةٌ من أَدَمٍ قَوامُهُ ثلاثمائة جلد، نَصَبَها أصحابُها على نهر بنجران، لم يأتِها خائفٌ إلّا أمِنَ، ولا طالبُ حاجةٍ إلّا قُضِيَتْ حاجَتُه، ولا مُسْتَرْفِدٌ إلّا أُرْفِدَ. معجم البلدان لياقوت الحموي: 268/5. منشورات دار صادر/ بيروت ط2، 1995م.

[2] ـ تارخ الطبري، لأبي جعفر، محمد بن جرير الطبري، 251/1. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، منشورات دار المعارف بمصر، ط2، 1967م.

[3] ـ الكامل في التاريخ، عز الدين بن الأثير:95/1. تحقيق عمر عبد السلام تدمري، منشورات دار الكتاب العربي ببيروت، 1997.
أمّا في تاريخ الطبري فذُكرَ أنَّ "السَّكينةَ" حملت كلّاً من إبراهيمَ وزوجتِه هاجرَ وابنه إسماعيل الذي كانَ طفلاً صغيراً آنئذٍ. تاريخ الطبري: 251/1.

نَحَرَ، وَحَلَقَ، وَأَرَاهُم كَيْفَ يَطُوفُ، وعَادَ بِهِم ـ من ثَمَّ ـ إِلَى مِنًى لِيُرِيهم كَيْفَ رَمْيُ الْجِمَار، حَتَّى فَرَغَ مِنَ مناسك الْحَجِّ جميعِها[4].

وربما كانَ لزاماً علينا ـ بالاستنادِ إلى ما أثبتناهُ من شعائرِ الحجِّ الإبراهيميِّ ـ أن نَعُدَّ إبراهيمَ عليه السَّلام قد سبقَ محمداً صَلَّى الله عليه وسلَّم إلى الإسلامِ، فصحَّ أنْ يتبادلَ كُلٌّ من إبراهيمَ ومُحَمَّدٍ عليهما السَّلامُ اسميهِما؛ فيُطْلَقَ على إبراهيمَ اسمُ محمَّدٍ الأوَّل، أو يُطْلَقُ على محمّدٍ اسمُ إبراهيمَ الثاني. لِمَ لا، وقد نّصَّ القرآنُ نَفْسُهُ في مواضعَ كثيرةٍ منه، على أنَّ **إبراهيمَ** عليه السَّلام هو **أَوَّلُ المُسلمين**، وعلى أنَّ **محمّداً** إنمّا جاءَ **لِيُكَرِّسَ الإسلامَ الإبراهيميَّ في النّاس**، لا ليأتي بالإسلامِ من حيثُ هو غيرُ موجود من قبلُ؛ فإبراهيمُ عليه السَّلام في سورة الأنعامِ هو أوّلُ المُسلمين { قُلْ إِنَّ صَلَاتِي ونُسُكِي ومَحْيَايَ ومَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِيْن، لا شَرِيكَ لهُ، بِذَلِكَ أُمِرْتُ، **وَأَنَا أَوَّلُ المُسْلِمِين**[5]} وتنُصُّ سورةُ آلِ عمرانَ على أنَّ الرسولَ محمداً إنْ هو إلا **مُتَّبِعٌ سيّدَنا إبراهيمَ** { إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ، **وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ**[6]} وتجعلُ سورةُ الحَجِّ من الرسول محمّدٍ صلّى الله عليه وسَلَّم شاهداً على عدم مفارقةِ الإبراهيميينَ إسلامَهم { يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ ... وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ، وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ، هُوَ **سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ** مِن قَبْلُ، وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ **ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُم**[7]}

وفي سورة البقرة يوصي كُلٌّ من سيِّدنا إبراهيمَ ويعقوبَ أبناءَهُ بعدم **مفارقةِ دينِ الإسلامِ الذي جاء به إبراهيمُ (ع)** فَيُطَمْئِنُ أبناءُ كُلٍّ منهما أباهم بالقول له: الحَقْ بربِّكَ مُطْمَئِنّاً فإنّا باقونَ على **إسلامنا، ولن نعبدَ من بعدِكَ غيرَ الله وَحْدَهُ لا شريكَ له.** قال تعالى: { وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبرَٰهِيمُ بَنِيهِ وَيَعقُوبُ: يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا **وَأَنتُم مُسْلِمُونَ**، أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ: مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي؟ قَالُواْ **نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا، وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُون**[8]}. أفلا يدلُّ هذا الذي أثبتناهُ من هذه الآيات، وما أثبتناهُ من شعائر الحَجِّ الإبراهيميّ قبلَها، على أنَّ الإسلامَ دينٌ إبراهيميٌّ بامتياز، وعلى أنَّ محمّداً قد جاء ليُكَرِّسَ الإسلامَ الإبراهيميَّ، لا ليأتي بالإسلامِ من جديد.

ـ هبوطُ أُوْلى الأصنامِ من جَبَلِ "نُوْذ" بالهندِ إلى الكعبةِ في مكَّةَ:

إذا كان من الضَّرورةِ بمكانٍ تصديرُ الحديثِ عن أصنامِ الجاهليّةِ، بالحديثِ عن بناءِ الكعبةِ في مكَّةَ، بوصفِها المكانَ الذي مارسَ عربُ ما قبلَ الإسلامِ طقوسَهم وشعائرَهم الدينيّةَ فيه، فإنَّ الحديثَ عن أُوْلى الأصنامِ التي عرفَها العربُ، لا بدَّ من تصديرِهِ بالحديث عن أُولَى الأصنامِ التي عرفتها البشريّةُ؛ **ولا سيَّما أنَّها هي ذاتُها الأصنامُ التي غادرتْ موطنَها الأصليَّ، بلادَ الهندِ، لتستقرَّ داخلَ البيت الإبراهيميِّ العتيقِ وحولَهُ.**

جاء في تضاعيف الحديثِ عن رحلةِ أُولى الأصنام التي عرفتْها البشريّة من بلاد الهند إلى الكعبة في مكّة: أنَّه لما مَاتَ آدمُ (ع) جعلَهُ بَنُوْهُ من بني شِيث فِي مغارةٍ فِي الْجَبَل الَّذِي أُهْبِطَ عَلَيْهِ بِأَرْضِ الْهِنْدِ، وَيُقَالُ لِلْجَبَلِ "نُوذ"، فجعلوا يَأْتُونَ جثمانَهُ[9] فِي هَذِهِ الْمَغَارَةِ، ويُعَظِّمُونَهُ وَيَتَرَحَّمُونَ عَلَيْهِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي قَابِيلَ بْنِ آدَمَ لقومه: إِنَّ لبني شِيْث

---

[4] ـ انظر وقائع هذه الحكاية في كُلٍّ من الكامل في التاريخ لابن الأثير: 95/1، وما بعدها. وتاريخ الطبري: 1/ 251 وما بعدها.

[5] ـ الأنعام/ 61، 62، 63.

[6] ـ آل عمران/ 68.

[7] ـ الحج/ 77ـ 78.

[8] ـ البقرة/ 132، 133.

[9] ـ المُرادُ بالجثمان هنا الضَّريحُ أو القبر؛ ذلك لأنهم دفنوا هذا الجثمانَ من غير شكٍّ.

دَوَّاراً(المُرادُ بذلك الضَّريحُ الذي ضَمَّ جثمانَ آدمَ) يدورونَ حولَه، ويُعظِّمُونَه، وَلَيْسَ لكم شيءٌ مِثْلُهُ، فهَلّا نَحَتُّ لكم صَنَماً يقومُ فيكُمْ مقامَ جثمانِ أبيكم "آدمَ" في بني شيث؟ فوافقوه الرأيَ، فنَحَتَ لَهُم صَنَماً، وجعلوا يطوفونَ به، ويدورون حولَهُ كما طوافُ ودورانُ بني شيث حولَ جثمانِ أبيهم آدمَ[10]. وبالاستناد إلى ذلك يكونُ بنو "شيث" من أولاد آدمِ **أَوَّلَ مَنْ طافَ بضريحٍ، وعكفَ عليه تعظيماً للجُثمانِ الذي دُفِنَ فيه، لا عبادةً له**، ويكونُ أبناءُ عمومتهم؛ بنو قابيل أوّلَ مَنْ طافَ بصَنَمٍ، أو تمثالٍ حجريٍّ تعظيماً لمَنْ يرمُزُ إليه هذا التّمثالُ، وهو آدمُ عليه السَّلام، لا عبادةً لهذا التمثال، أو الصَّنم.

ـ تَأسِّي اللّاحقينَ بصنيعِ بني قابيلَ، وشيوعُ ظاهرةِ "التَّصْنيم[11]":

صارت طريقةُ بني قابيلَ، في تعظيمِ وتكريم أبيهِمْ آدمَ سُنَّةً لأبنائهم من بعدهم، فجعلوا يعظِّمونَ الصالحينَ من رجالاتهم ـ بعدَ وفاتِهم ـ بصناعةِ تماثيلَ لهم، كما صنعَ آباؤهم من قبلُ تمثالاً لجثمانِ أبيهم آدمَ، ثمَّ جعلَ القومُ يعَظِّمونَ هؤلاءِ الصالحينَ بالطَّوافِ والدَّورانِ حولَ تماثيلِهم، وهي ـ كما رأينا ـ طريقةُ بني قابيلَ في تعظيمِهِمْ آدمَ، فحلَّتْ بذلك هذه التماثيلُ المُحْدَثَة، الشَّبيهةُ بالصالحينِ الأتقياءِ، محلَّ جثمانِ آدمَ من بني شيث، ومحلَّ الصَّنم، شبيهِ جثمانِ آدمَ من بني قابيل. ثمَّ صار الطَّوافُ بهذه التماثيلِ والدَّورانُ حولَها سُنَّةَ القومِ في تعظيمِ أو تكريمِ مَنْ يريدون تعظيمَهَ من الأشخاصِ الصالحينَ إذا فارقوا الحياةَ. فكان لنا من هذا التَّأسِّي بالجيل الأوَّلِ من بني "قابيلَ" ما يمكن أن نُسَمّيهِ بالجيل الثاني من الأصنام التي عَرَفَتْها البشريةُ، إذا أمكننا اعتبارُ الجيلِ الأوَّلِ من الأصنامِ مُمَثَّلاً بالصَّنم الذي حاكَى به بنو قابيلَ جثمانَ أبيهم آدمَ.

ـ طُوفانُ نوحٍ يَحْمِلُ أُولَى الأصنامِ التي عَرَفَتْها البشريّةُ إلى مكَّةَ:

رُوِيَ أنه قد ماتَ من بني قابيلَ في شهرٍ واحدٍ خمسةُ رجالٍ مشهودٍ لهم **بالصَّلاحِ والتَّقوى**، هُمْ كلٌّ من: "الرَّجلِ الصَّالحِ وَدّ، والرَّجلِ الصَّالحِ سُواع، والرَّجلِ الصَّالحِ يَغوث، والرّجل الصَّالحِ يَعوق، والرَّجلِ الصَّالحِ نَسْر"، فغَمَّ ذلك المُصابُ الجَلَلُ بَنِي قابيلَ، وأحزَنَهُم حزناً شديداً، فأراد أحدُهُم مواساةَ قومِهِ، والتخفيفَ عنهم بقدر المُستطاعِ، فاقترح عليهم أن يصنعَ لهم خمسةَ تماثيلَ، كلٌّ منها يشبهُ واحداً من هؤلاءِ الرجالِ الصالحينَ الذين تَوَفّاهم الله[12]، فوافقوه الرأيَ، فَنَحَتَ لهم خمسةَ تماثيلَ على صُوَرِهِم، ونَصَبَها لهم، فصاروا يُعظّمونَها، **بل يُعَظِّمونَ مَنْ تَرمُزُ إليهم**، بالطَّوافِ بها، والدَّوَران حولَها[13]، تأسِّياً منهم بما كان يفعلُه بنو شيث بضريح آدمَ عليه السَّلام، وما كان يفعلُه بنو قابيلَ بالصَّنم الذي حاكوا به جثمانَ أبيهم آدمَ عليه السَّلام، واستمروا على ذلك قروناً عديدةً، حتى صار الطَّوافُ بهذه الأصنامِ، أو التماثيلِ الخمسةِ عُرْفاً فيهم، وعادةً لهم، فلمّا تعاقبَتِ القرونُ، وتقادمَ العهدُ، قال اللّاحقون منهم:" مَا عَظَّمَ آباؤنا الأوَّلونَ هذه الأصنامَ إلا وَهُمْ **يَرْجُونَ شَفَاعَتَها لهم عِنْدَ اللَّهِ، فَعَبَدُوها لذلك السبب[14]**". وربما وجبتْ علينا الإشارةُ هنا إلى أنَّ عبارة "**يرجونَ شفاعَتَها لهم عند الله**" تعطي لفظةَ "**عبدوها**" التي أعْقَبَتْ العبارةَ، معنى عظَّموها، أو كرَّموها أو سوى هذه من المعاني

---

[10] ـ الأصنام، ابن الكلبي: 50. ـ 51.

[11] ـ أردنا بهذه اللفظة معنى صناعة الأصنام، إذا جاز لنا هذا الاستخدام.

[12] ـ الأصنام لابن الكلبي: 51ـ 52. وانظر أيضاً معجم البلدان لياقوت الحموي:5/ 367.

[13] ـ من اللافت للنَّظر ألّا يطوفَ بنو قابيلَ بأضرحة هؤلاء الصَّالحينَ، ويُكَلّفوا أنفسهم مشقَّة صناعةِ تماثيلَ تُشْبهُ هؤلاء الصّالحينَ من رجالاتهم، ثمَّ يطوفون بها، علماً بأنَّ بني "شيث" قد سبقوهم ـ كما علمنا ـ إلى الطَّواف بضريحِ آدمَ تكريماً له!

[14] ـ الأصنام لابن الكلبي: 52.

التي لا ترقى إلى مستوى التَّوَجُّه إليها بالعبادةِ؛ لأنَّ المعبودَ، بالنسبة إليهم، هو ـ بالضرورة ـ مَنْ رَجُوا شفاعتَها لهم عندَهُ.

وعلى أيَّة حال، فقد استمرَّ هؤلاء اللاحقونَ من بني قابيلَ، على تلك العادةِ فيهم، وذلكَ العُرْفِ حتّى أرسلَ اللهُ نبيَّهُ إدريسَ، فدعاهم إلى غيرِ ما هُمْ عليه؛ **أَيْ إلى عدمِ الطَّوافِ بالأصنامِ والدَّوران حولَها تعظيماً لمَنْ تُمَثِّلُهُ، أو تُشيرُ إليه من الأتقياءِ الصالحينَ**، فأبَوا، ورفضُوا ما عَرضَهُ عليهم، فأرسلَ إليهم نُوْحَاً، فدعاهم إلى مِثْلِ ما دعاهُم إليه إدريسُ من قبلِهِ، فعَصُوهُ أيضاً، ولم يستجيبوا له، فأمرَ اللهُ نوحاً أنْ يصنعَ الفُلْكَ، ثمَّ أحدثَ الطُّوفانَ الذي أغرقَ مَنْ أغرقَ من الخلائقِ، وَعَلا هذا الطّوفانُ حتى غَمَرَ الأرضَ كلَّها، ولمّا أخذَ الطُّوفانُ بالانحسارِ ـ بعدَ أربعين عاماً مرَّت على بَدْئِهِ ـ هَبَطَتْ تلكَ الأصنامُ التي صنعها بنو قابيلَ، وأخذتِ الأمْواهُ تُدَحْرِجُها، وتَقْذِفُ بها من أرضٍ إلى أخرى، حتى استقرَّتْ على شاطىءِ "جُدَّةَ" من شبه الجزيرة العربية، فلمّا نَضَبَ الماءُ، وهبَّتِ الرياحُ المُحَمَّلةُ بالغبارِ والأتربةِ، غطَّتِ تلكَ الأتربةُ، وذلك الغبارُ الأصنامَ التي بقيتْ قابعةً ثَمَّةَ في مكانِها، على شاطئ جُدَّة، إلى أنْ أرسلتِ الجِنُّ أبا ثُمامَةَ رسولاً لها إلى عمرِو بنِ لُحَي حاملاً منها رسالةً إليه مَفادُها أنْ:" عَجِّلْ بِالْمَسِيرِ وَالظَّعْنِ مِنْ تِهَامَةْ، بِالسَّعْدِ وَالسَّلامَةْ، وآتِ ضَفَّ جُدَّةْ، تَجِدْ فِيهَا أَصْنَامًا مُعَدَّةْ، فَأَوْرِدْهَا تِهَامَةَ وَلَا تَهَبْ، ثمَّ ادْعُ الْعَرَب إِلَى عبادتها تُجَبْ[15]".

استجاب عمروُ بنُ لُحَي لطلب أبي ثمامةَ (تابِعِهِ من الجِنِّ) وهبطَ من مكَّةَ إلى جُدَّةَ شاطِئِها، فوَجَدَ ثمَّةَ الأصنامَ مُغَطّاةً بالترابِ، فأزالَ عنها الأتربةَ، وحَمَلَهَا معه إلى مكّةَ بوصفِهِ سادنَ الكعبةِ فيها. فلمّا كانَ الحجُّ من ذلكَ العامِ، دعا مَنْ حَضَرَهُ من العرب إلى تعظيم تلك الأصنامِ، وتكريمِها فَأَجَابَتْهُ قُضاعةُ، فأعطى لرجلٍ منهم الصَّنَمَ الموسومَ بـ "وَدّ" فَحَملوهُ إِلَى وَادي الْقُرى، ونصَبوهُ بِدُومَةِ الْجَنْدَلِ، واستجابتْ له هُذَيْلُ، ومن ورائِها مُضَرُ كلُّها، فأعطاهُم "سُواعاً" فنصبوه بأرضٍ لهم، يُقَالُ لَهَا "رُهَاطُ" مِنْ بَطْنِ نَخْلَةٍ، فصار "سُواعٌ" هذا محجّاً للهُذْليين ومَنْ والاهم من مُضَرَ جميعاً، أمّا "يَغُوثُ" فكانَ من نصيب "مَذْحِج"، أُعْطِيَ لرجلٍ منهم يُدْعَى أَنْعُم بن عَمْرٍو الْمُرَادِيِّ، فأقامَهُ في أَكَمَةٍ باليمن، فغدا مَحَجّاً لمَذْحِج ومِنْ والاها من قبائل العرب، وأُعطِيَ "يعوقُ" لهَمْدانَ، فحملتْهُ ونصبتْهُ في قرية" خَيْوان" فحَجَّتْ إليه هَمْدانُ ومَنْ والاها، أمّا "نَسْرٌ" فأُعْطِيَ لـ "حِمْيَرَ" ممثَّلةً برجلٍ من ذي رُعَيْن، يُدْعَى مَعْدِ يَكْرِب، فأقامَهُ في "بَلْخَع" إحدى قرى سبأ، فاتخذتهُ حِمْيَرُ ومن والاها من قبائل العرب مَحَجّاً لهم حَتَّى هَوَّدَهُمْ مليكُهُم ذُو نَوَّاسٍ[16]. وبما أنَّ هذه الأصنامَ الموسومةَ بـ" وَدّ، وسُواع، ويَغوث، ويَعوق، ونَسر" هي ذاتُها الأصنامُ التي صنعها بنو قابيلَ، وعظَّموا أو كَرَّموا ـ بالطَّوافِ بها، والدَّوران حولَها ـ الرجالَ الصّالحينَ الذينَ ترمُزُ إليهم، فقد صحَّ أنَّ العربَ الإبراهيميين الذينَ آلَتْ هذه الأصنامُ إليهم قد طافوا بها، وداروا حولَها تعظيماً للأشْخاص الذين ترمُزُ إليهم، ولم يُعَظِّموها لذاتها، فكيف لهم أنْ يعبدوها، إذا كانَ التعظيمُ لغيرها وليس لها؟!

ـ استقدامُ العربِ كُلّاً من" هُبَلُ، وإساف، ونائلة":

إذا كانَ جبلُ "ثُوْذ" بالهند قد صَدَّرَ إلى مكَّةَ في شبهِ الجزيرةِ العربيّةِ كلاً من (وَدّ، وسُواع، ويَغوث، ويَعوق، ونَسْر) بالاستناد إلى حكاية أو سَرديّةِ كلٌّ من ابن الكلبي، وياقوت الحَموي اللتين اخترناهما لبحثنا من بين سرديّات كثيرة لا تختلفُ عنهما اختلافاً يستحق الذِّكر، فإنَّ ثمَّةَ حكايةً أو سَرديَّة أخرى جَعَلَتْ من بلاد الشام مصدرَ طائفةٍ أخرى من

---

[15]ـ الأصنام لابن الكلبي: 54. وانظر معجم البلدان لياقوت الحموي: 5/367، 368.

[16] . انظر توزيعَ هذه الأصنام على قبائل العرب في الأصنام لابن الكلبي: 55، 58. وانظرها أيضاً في معجم البلدان لياقوت الحموي: 5/ 368 وما بعدها.

الأصنام التي عرفتْها مكةُ، ممثَّلةً هذه الأصنامُ بكلٍّ من: "هُبَل، وإساف، ونائلة". وجعلتْ هذه الأحدوثةُ أو السَّرديّةُ ـ كما سابقتِها ـ عمرَو بنَ لُحَي سببَ معرفةِ أهلِ شبهِ الجزيرةِ العربيةِ، هذه الأصنامَ.

قال الشهرستانيُّ صاحبُ هذه الحكايةِ أو السَّرديّةِ: " كانت سَدانةُ الكعبةِ في "جُرْهُم" فنازَعَهُم إيّاها عمْرُو بنُ لُحَي، فقاتَلَهُم بقومِهِ من بني إسماعيلَ، فظَفَرَ بهم، وَأَجْلاهُمْ عَنِ الْكَعْبَةِ. ثمّ نَفَاهُمْ مِنَ بِلادِ مَكَّةَ جميعاً، وَتَوَلَّى سَدَانةَ الْبَيْتِ من بَعْدهمْ، ثُمَّ إِنَّهُ مَرِضَ مَرَضًا شَدِيدًا، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ بِالْبَلْقَاءِ مِنَ الشَّامِ حَمَّةً إِنْ أَتَيْتَهَا بَرَأْتَ، فَأَتَاهَا فَاسْتَحَمَّ بِهَا فَبَرَأَ. فرأى ثَمَّةَ قوماً يُعَظِّمونَ الأصنامَ، فسألهم عمّا يفعلونهُ بهذه الأصنامِ، أو يريدونَهُ منها، فقالوا له: **هذه أربابٌ اتخذناها على شكل الهَياكِلِ العُلْويَّة، والأشخاصِ البشريَّةِ، نَسْتَنْصِرُ بها فَنُنْصَرُ، ونَسْتَسْقِي بها فنُسْقَى، ونَسْتَشْفِي بها فنُشْفَى**[17]. فأعجَبَهُ ذلك، وطلب منهم أن يُعْطُوهُ بعضَها، فدفعوا إليه بثلاثةٍ، هي كُلٌّ من:"هُبَل، وإساف، ونائلة"، فأتى بهذه الأصنام الثلاثةِ إلى مَكَّةَ، ودعا الناس إلى **تعظيمها، والتَّقَرُّبِ أو التَّوَسُّلِ بها إلى الله تعالى**، فاستجابوا له، واستمرُّوا على ذلك إلى أن أظهرَ اللهُ الإسلامَ، فأُخْرِجَتْ تلكَ الأصنامُ، وأُبطِلَتْ[18]".

وثمَّةَ سرديّةٌ أخرى تقولُ: إنَّ إسافاً ونائلةَ هما: إسافُ بنُ يَعْلى، ونائلةُ بنتُ زيدٍ من جُرْهُم باليمن، كانا متعاشِقَيْنِ، جاءا لحَجِّ البيت في مكَّةَ، فلمّا دَخَلا الْكَعْبَةَ وَجَدَا غَفْلَةً مِنَ النَّاس، وخلوةً فِي البيت، ففَجَرَا فِيه، فَمَسَخَهُما اللهُ حَجَرَينِ، فلمّا أصبحَ الناسُ وجدوهُما مِسْخَينِ، فأخرجوهُما، ووضعوهُما موضِعَهُما من الكعبةِ، **فعبدتْهُما، أو عَظَّمَتْهُما** خُزَاعَةُ وَقُرَيْشٌ وَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ بَعْدُ مِنَ الْعَرَب[19]. وبدهيٌّ ـ من وِجهة نظرنا ـ أنَّ عبادَتَهُمْ إسافاً، ونائلةَ هنا عبادةُ اتِّعاظٍ، لا عبادةُ تعظيمٍ أو تكريمٍ؛ لأنَّ الفعلَ الشَّنيعَ الذي قاما به فعلٌ استنكرهُ الوثنيون أنفُسُهم، بآيةِ زَعْمِهم أنَّ اللهَ عاقَبَهُما على فُجُورِهما في الكعبة، فَمَسَخَهُما حَجَرينِ، ولذلك كان الطَّوافُ بهما، والدَّورانُ حولَهما لِلْعِظَةِ والاعتبارِ، لا للتَّبجيلِ والإكبار. هذا ما يدلُّ عليه السِّياقُ دلالةً لا لُبْسَ فيها بحسب اعتقادنا. الأمرُ الذي يعني أنَّ لفظة "**عبدتهما**" الواردة في العبارة تعني أنَّ خُزاعَةَ وقريشاً ومَنْ حَجَّ البيت من العرب قد جعلوا يطوفونَ بهذين الحَجَرَيْن المِسْخَينِ، ويدورونَ حولَهما طوافَ ودَوَرانَ اتِّعاظٍ واعتبارٍ وحسبُ.

أمّا"**هُبَلُ**" فكان ـ كما في بعض الروايات ـ مِنْ عَقِيقٍ أَحْمَرَ، عَلَى صُورَةِ إِنْسَانٍ، مَكْسُورةٌ يَدُهُ الْيُمْنَى، وجدَتْهُ قريشٌ على هذه الحالةِ، فَجَعَلُوا لَهُ يَدًا مِنْ ذهبٍ. وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ نَصَبَهُ خُزَيْمَةُ بْنُ مُدْرِكَةَ بْنِ إِلْيَاسَ بْنِ مُضَرَ، ولذلك كَانَ يُقَالُ لَهُ "**هُبَلُ خُزَيْمَةَ**". وقد جعلوهُ في جوفِ الكعبةِ، وجعلوا قُدَّامَهُ سَبْعَةَ أقدحٍ، مَكْتُوبٌ فِي أَوَّلِهَا صَرِيحٌ، وَالآخَرُ مُلْصَقٌ، فَإِذا شَكّوا فِي مَوْلُود أَهَدَوْا لَهُ (أي لهُبَلَ) هَدِيَّةً ثُمَّ ضَرَبُوا بِالْقِدَاحِ، فَإِن خرج صَرِيحٌ أَلحقوا المولودَ بأبيه، وَإِن خرج مُلْصَقٌ دَفَعُوهُ. وثمّةَ قِدْحٌ عَلَى الْمَيِّتِ، وَقِدْحٌ عَلَى النِّكَاحِ، و...الخ. وكانوا إِذَا اخْتَصَمُوا فِي أمرٍ أَوْ أَرَادُوا سَفَرًا أَوْ عَمَلا أَتَوْهُ فَضَرَبُوا بِالْقِدَاحِ عِنْدَهُ، فَمَا خَرَجَ عَمِلُوا بِهِ، وَانْتَهَوْا إِلَيْهِ. وَعِنْدَهُ ضَرَبَ عبدُ الْمُطَّلب ـ كما سيمرُّ بنا بعدُ ـ بِالْقِداحِ على ابْنِهِ عبدِ الله وَالِدِ النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم[20].

---

[17] . ربما نَفَعَتِ الإشارة هنا إلى أنَّ قولَهم" فَنُسْقَى، ونُنْصَرُ، وَنُشْفَى " يدُلُّ على اعتقاد الوثنيين بأنَّ الفاعلَ هو اللهُ، وليس الصَّنم الذي استَسْقُوا به فَسُقُوا. وشَتّانَ بين استَسْقُوا به، فَسُقُوا، وبين استَسْقُوهُ فسقاهم. فالوثنيون ـ بالاستناد إلى صيغة المَبني للمجهول في العبارة ـ لم يرجوا الصَّنمَ السُّقيا، أو النَّصرَ، أو الشِّفاء، بل رَجُوا ذلكَ به، لا منه. وشَتّانَ ما بين هذا وذاك.

[18] ـ الملل والنِّحل، ابو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني: 3/77ـ 78. منشورات دار الحلبي.

[19] ـ الأصنام، ابن الكلبي:9.

[20] ـ الأصنام لابن الكلبي: 28. ومعجم البلدان لياقوت الحموي: 5/391.

ـ الإتيانُ بكُلٍّ من اللاّت والعُزَّى ومَناة:

إذا كان عَمْرُو بنُ لُحَي ـ بالاستنادِ إلى بعض ما أثبتناهُ من رواياتٍ ـ وراءَ استقدامِ الأصنامِ التي سَبَقَ ذكرُها، مُمَثَّلةً بكلٍّ من: وَدّ، وسُواع، ويَغوث، ويَعوق، ونَسْر، وهُبَل، وإسافٍ، ونائلةَ، فقد عرفتْ مكّةُ أيضاً، أصناماً أخرى، حَظِيَتْ ـ من غير شكٍّ ـ بما يزيدُ على ما حَظِيَتْ به الأصنامُ سابقةُ الذِّكْرِ من مكانةٍ بين العرب وشُهْرَةٍ. إنَّها الأصنامُ الموسومةُ بـ "اللّات" و "العُزَّى " و " مَناة ". أمّا "مَناةُ" فأقدمُها، وقد كان منصوباً على ساحل البحر، في منطقة اسمُها "القُدَيد" بينَ مكّةَ ويثربَ. وقد حَظِيَ بتعظيمِ العربِ جميعِهم، ولا سيّما الأوس والخَزْرَج. قال ابنُ الكلبيِّ:" كَانَتِ الْعَرَب جَمِيعًا **تعظِّمُ** "مَناةَ " وتَذْبَحُ حولَه، وَكَانَتِ الأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ وَمَنْ يَنْزِلُ الْمَدِينَةَ وَمَكَّةَ وَمَا قَارَبَهما مِنَ الْمَوَاضِعِ يُعَظِّمُونَهُ أيضاً، وَيَذْبَحُونَ لَهُ، ويُهدُونَ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَشَدَّ إِعْظَامًا لَهُ مِنَ الأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ، الذين كانوا يَحُجُّونَ فَيَقِفُونَ مَعَ النَّاسِ الْمَوَاقِفَ كُلَّهَا، ويُؤَدُّوْنَ المناسكَ جميعَها، ولكنَّهُم لا يَحْلِقُونَ رُءُوسَهُمْ إلّا عندَ "مَنَاةَ "، فكانوا إِذَا نَفَرُوا أَتَوْهُ، ثُمَّ حَلَقُوا رُءُوسَهُمْ، وَأَقَامُوا عِنْدَهُ، لِيُتِمُّوا بذلك حَجَّهُم الذي لا يرَوْنَ له تَمَامًا إلا بِذَلِكَ"[21]. أمّا "**اللّاتُ**" فعبارةٌ عن بناءٍ شيَّدتْهُ ثَقِيفٌ على صخرةٍ مُرَبَّعةٍ، سُمِّيتْ بـ"**اللّات**"؛ لأنَّ رجلاً يَهُودِياً كان يَلِتُّ (يَعْجِنُ) عِنْدَهَا الدَّقيقَ أو السَّوِيقَ، فأُطلِقَ اسمُ "اللّاتِ" على كلٍّ من الصّخرةِ والبناءِ الذي أشادتْهُ ثقيفٌ عليها، فعَظَّمتْهُ قريشٌ، والعربُ من بعدِها. وثالثُ أصنامِ هذه المجموعةِ "**الْعُزَّى**"، وَهِيَ شبيهةٌ بـ "اللَّاتِ"؛ بيتٌ شيَّدَهُ ظالمُ بنُ أسعد على صخرةٍ بوادٍ يقال له "حُراض" على الطريق الذي يربطُ مكَّةَ بالعراق، فصارت أعظمَ الأصنامِ عندَ قريشٍ، التي دَأَبَتْ على زيارتها، والتَّقرُّب إلى الله عندَها بذبحِ الأضاحي، وخصَّتْها بمَنْحَرٍ يَنْحَرُونَ فِيهِ هَدَايَاهَا، يُقَالُ لَهُ "الْغَبْغَبُ" فكانوا إذا نَحَرُوا قَسَّمُوا لحومَ هداياهُمْ، أو أضاحيهم فيمَنْ حَضَرَها من الزائرينَ. وقد قِيْلَ إنَّ الرسولَ(ص) ـ قبلَ مَبْعَثِهِ نبيّاً ـ قد ضحّى عندَها بشاةٍ عفراءَ[22].

ـ مكَّةُ تُصَدِّرُ الأنصابَ إلى مُختَلِفِ أنحاءِ شبهِ الجزيرةِ العربية:

إذا كانت الكعبةُ المكّيَّةُ بوصفها مَحَجَّ العربِ، مذُ بناها سيِّدُنا إبراهيمُ، عاملَ جذْبٍ للأصنام كما رأينا، فقد كانَ الصِّراعُ على خدمَتِها أو سَدانَتِها سببَ هجرةِ أحجارِها التي صارتْ أنصاباً[23] وأصناماً انتشرت في كلِّ مكانٍ وَصَلَ إليه المُهَجَّرون منها قَسْراً؛ وفي تفاصيل ذلك أَنَّ إِسْمَاعِيلَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ، قد وُلِدَ له بمَكَّةَ مِنَ الأَوْلادِ ما مَلَأَهَا حتَّى ضاقتْ بهم، فوَقَعَتْ فيما بينَهُم عَداواتٌ وحروبٌ، هَزَمَ على إثرِها بعضُهُم بعضاً، فلم يَجِدِ المهزومونَ منهم غيرَ الرَّحيلِ عن مكّةَ، مُؤْثِرِينَ السَّلامةَ على الموتِ فيها قتلاً أو جوعاً، فغادروها بأجسادهم، وبقيتْ هي ساكنةٌ في نفوسِهم وقلوبِهم لم تغادرْها قطُّ، فَحَمَلُوا منها ـ على سبيل الذِّكرى ـ ما يُذكِّرُهم بها، فما وجدوا من أشيائها أقدرَ من حِجارتِها على البقاء، ومقاومةِ عواملِ التَّلفِ والبِلَى، فَحَمَلُوا من تلك الحِجارة ما قُدِّرَ لهم أنْ يحمِلُوه، ثم رَكَزُوا هذه الحجارةَ أو نصبُوها حيثُما حَلُّوا من أرض شبه جزيرة العرب، فصارَ في ديار كلِّ جماعةٍ غادرَتْ مكّةَ مُرغَمةً صنمٌ أو نُصُبٌ يُغْنِيْها ـ وهي في المَهْجَر ـ عن زيارة الكعبةِ، والتبَرُّكِ بما فيها أو حولَها من أصنامٍ، من غير أن يُقلِّلَ ذلك من شأنِ الكعبةِ وأصنامِها في نفوسِهم التي بقيتْ عامرةً بحُبِّ مكَّةَ، أرضاً، وكعبةً، وأصناماً. قال ابنُ الكلبيِّ:" لَمَّا سَكَنَ إسماعيلُ مَكَّةَ وُلِد لَهُ بهَا من الأولاد ما مَلَأها حتى ضَاقَتْ بهم، فتقاتلوا لكثرتِهم فيها، حتى أخرج بَعضُهم بَعْضًا، فجعل الذين أُخرِجُوا لا يظعَنُ منهم أحدٌ

---

[21] ـ الأصنام لابن الكلبي: 13 ـ 14.

[22] ـ المصدر نفسه: 19ـ 20.

[23]ـ الأنصابُ: هي حجارةٌ غيرُ منصوبة، والطوافُ بها يسمَّى الدَّوار. الأصنام لابن الكلبي:42. أمّا فرقُ ما بين الوثنِ والصَّنم فهو أنَّ كلّاً منهما تمثالٌ على صورة إنسان، فإن كان التمثالُ مصنوعاً من خشبٍ أو ذهبٍ أو فضةٍ قيل له صنم، وإن كان مصنوعاً من حجر قيل له وثن. الأصنام لابن الكلبي: 53.

حتَّى يحمِلَ مَعَهُ حَجَرًا مِنْ حِجَارَةِ الْحَرَمِ تَعْظِيمًا له، وَصَبَابَةً بِمَكّة، يضعونَهُ حَيْثُمَا حَلُّوا، ويَطُوفونَ بِهِ كطوافِهِم بالكعبة، تيمُّناً وحُبّاً مِنْهُم بها، وصبابةً بِالْحرم، **ولكنَّ ذلك لم يمنعْهُم من البقاءِ على تعظيمِ الكعبةِ، والاستمرارِ في الحجِّ إليها، مؤدِّينَ المناسِكَ التي دأبوا على تأديتها مُذْ أَذَّنَ إبراهيمُ بالحجِّ إلى البيت العتيق، فبقوا يَحُجُّونَ وَيَعْتَمِرُونَ، ويَتَنَسَّكُونَ بتَعْظِيمِ الْبَيْتِ، وَالطَّوَافِ بِهِ، وَالْوُقُوفِ عَلَى عَرَفَةَ وَمُزْدَلِفَةَ، وَإِهْدَاءِ الْبُدْنِ، وَالإِهْلالِ بِالْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، وسوى ذلك من طقوسٍ وشعائر**"[24]، سبقَ لنا أنْ جئنا على ذكرها من قبلُ.

ـ أصنامٌ أخرى متفرّقةٌ في أنحاءِ شبهِ الجزيرةِ العربيَّة:

إذا كانت الأصنامُ التي جئنا على ذكرها آنفاً، أشهرَ أصنامِ الجاهليّنَ، وأكثرَها عندَهم شرفاً، فقد حَرِصَ الجاهليّونَ ـ ولا سيَّما البُعَداءُ منهم عن مكَّةَ ـ على تشريفِ أو تزكيةِ ديارهم بأصنامٍ[25] تقومُ فيهم مقامَ الأصنامِ المكّيَّة التي لم يكونوا قادرين على الوصول إليها بسهولةٍ ويسرٍ كُلَّما أَحَبُّوا ذلك، **فتوسَّلوا الله** بهذه الأصنامِ التي أَحْدَثُوها، كلّما أَحَسُّوا بالحاجة إلى ذلك. فربيعةُ من قبائل العرب أشادت **بيتاً لها**، أسمتْهُ "رِضَى" تقرَّبَتْ إلى الله بزيارته والطَّوافِ به، وفي "تَبالَةَ" بينَ مكَّةَ واليَمَنِ، على مسيرةِ سبعِ ليالٍ من مكَّةَ، نَصَبَتْ كلٌّ من باهلةَ، وخَثْعَم، وبُجيلةَ، وأزدِ السَّراة، وسواهم ممّن يلوذُ من بطونِ العربِ بـ "هوازنَ" **صخرةً بيضاءَ، نُقِشَ عليها رسمٌ على هَيْئَةِ التَّاجِ**، أسموها "ذو الخَلَصَة"، ونَصَبَتْ كذلك "كِنانةُ" بساحل "جُدَّة"، **صخرةً طويلةً**، للتَّبرّكِ بها، أطلقتْ عليها اسمَ "سَعْد"، واتَّخذَ بنو مُنْهِب بن دَوْسٍ صنماً في ديارهم، أسْمُوهُ "ذو الكَفّين". ومِنَ "الأَزْدِ" اتَّخذَ بنو الحارثِ بنِ يَشْكُرَ ابنِ مُبَشِّر صَنَماً أسمَوهُ "ذو الشَّرى"، واتخذت عائمُ ـ وهي بطنٌ من الأزْدِ ـ صنماً أسمته باسمها "عائِم"، وكذلك اتَّخذتْ مُزَينةُ صنماً أسمته "نُهْم". وفي مشارف بلاد الشّام كانَ لقُضاعةَ، ولَخْمٍ، وجُذامٍ صنمٌ يُقالُ له "الأُقيصِر" ومن طقوسهم المتَّصلةِ به أنَّهم كَانُوا يَحُجُّونَهُ وَيَحْلِقُونَ رُءُوسَهُمْ عِنْدَهُ، فَكَانُوا كُلَّمَا حَلَقَ رَجُلٌ مِنْهُمْ رَأْسَهُ أَلْقَى على "الأُقيصِرِ" مَعَ كُلِّ شَعْرَةٍ مِلءَ قبضَتِهِ سويقاً (دقيقاً) فإنْ قَصَدَهُ مُحتاجٌ أو جائعٌ أخذَ ما اجتمع حولَه من دقيقٍ، ثمَّ خَبَزَهُ وأكَلَه[26]. ورَكَزَتْ طيِّىءُ في جبلٍ لها صنماً، يُقَال لَهُ الْفُلْس، ... كَأَنَّهُ تِمْثَالُ إِنْسَانٍ، كَانُوا يُهْدُونَ إِلَيْهِ، وَيَعْتِرُونَ عِنْدَهُ عَتَائِرَهُمْ[27]، فما أتاهُ خَائِفٌ إِلَّا أَمِنَ عِنْدَهُ، وَلَا جاءت إليه طَرِيدَةٌ، وطَلَبَها صاحبُها من سادِنِه إلا عادَ بها[28].

واتَّخذتْ "خَوْلانُ" لها صنماً لها أَسْمَتْه "عُمْيانِس"، وكان من عاداتهم المُتَّصلةِ به أنَّهم كانوا يوزِّعونَ أنعامَهم وغِلالَ أراضيهم بينَهُ وبينَ الله:" فَمَا دَخَلَ فِي حَقِّ اللَّهِ مِنْ حَقِّ "عُمْيانِس" رَدُّوْهُ عَلَيْهِ، وَمَا دخل فِي حَقِّ "عُميانِسَ" مِنْ حَقِّ اللَّهِ الَّذِي سَمَّوْهُ لَهُ تَرَكُوهُ لَهُ[29]"، ليأخذَهُ مَنْ كانت له به حاجةٌ. **وحسْبُنا هذا الفعلُ من "خَوْلانَ" ممثِّلاً بقِسمةِ أموالِهم وغِلالِ أرزاقِهم بينَ الصَّنمِ واللهِ، دلالةً على براءَتِهِمْ من عبادة الأصنام؛ إذْ كيفَ لِـ "خَولانَ" أنْ توزِّعَ الأموالَ بينَ إلهها الصَّنَمِ الذي تَعظِّمُهُ من جهةٍ، واللهِ من جهةٍ أخرى؟! فهذا التقسيمُ يعني ـ بداهةً ـ أنَّ الصَّنمَ الذي تَعُدُّهُ إلهها شيءٌ، واللهَ ـ بالنِّسبةِ إليها ـ شيءٌ آخرُ غيرُه.**

---

[24] ـ الأصنام، ابن الكلبي:6.

[25]ـ انظر أسماء أصحاب هذه الأصنام، وأماكنَ نَصْبها، في كتاب الأصنام لابن الكلبي:34ـ 39.

[26] ـ الأصنام لابن الكلبي:39.

[27] ـ العتيرةُ اسمٌ لِما يُذْبحُ من شياهٍ أو غيرها عند الأصنام.

[28]ـ الأصنام: 59.

[29]ـ المصدر نفسه: 43.

1) ـ الطقوسُ والشَّعائرُ العَقَديّةُ لوثنيي الجاهلية:

إنَّ التَّأمُّلَ في السُّلوكِ الدِّينيِّ لوَثنيّي الجاهليّةِ يمكِّنُ الدّارسَ من التَّمييزِ بين ضربين من الطُّقوس والشَّعائرِ الدينيّةِ التي تدلُّ على موقعِ كلٍّ من اللهِ، والأصنامِ بالنسبة إلى عقيدة الوثنيينَ. تُمثِّلُ الضَّربَ الأوَّلَ طقوسٌ وشعائرُ دينيّةٌ عامّةٌ فيهم، وتُمثِّلُ الضَّربَ الثاني ممارساتٌ فرديّةٌ التمسَ بها أصحابُها كسْرَ رتابةِ العيشِ بالذَّهابِ إلى مكانٍ يُروِّحُون فيه عن أنفسِهم، بما يُصيبونَهُ في مُتنزَّهٍ أو مُنْتَجَعٍ هذا الصَّنم أو ذاكَ من طعامٍ وشرابٍ وغيرِه، أو التمَسُوا بها إصابةَ حاجاتٍ لهم، أو تحقيقَ أَمَانٍ، أو معرفةَ ما يناسِبُهُم من خياراتٍ يرونَ أنفسَهم مُضَطَّرِّينَ إلى اختيار أحدِها، أو سوى ذلك من حاجاتٍ أخرى كثيرةٍ يجدُ الفردُ نفسَه مضَّطَرّاً إلى استدعائِها من عالَم الغيب.

2) الطقوسُ والشَّعائرُ الدينيّة العامّة:

تشكِّلُ مناسكُ الحجِّ إلى البيت العتيق أبرزَ ما بقيَ من إرثِ الحنيفيّةِ الإبراهيميّةِ ماثلاً في الطُّقوسِ والشَّعائرِ الدينيّة لوثنيي الجاهلية؛ فقد مرَّ بنا أنَّ إبراهيمَ عليه السَّلام، قد أذَّن في الناس بالحجِّ إلى البيت العتيق عَقِبَ فراغِهِ من بنائِهِ، فاستجابَ له كلُّ مَنْ عَلِمَ اللهُ من قبلُ أنَّه مُؤمنٌ به، بالقول لإبراهيم: لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ. فَخَرَجَ إبراهيمُ بمّنْ لبُّوا النداءَ إِلَى التَّرْوِيَةِ، فَنَزَلَ بِهِم مِنَىً، وصلّى بهم خمسَ الصَّلوات خلالَ يومٍ وليلةٍ، ثُمَّ سَارَ بهم إِلَى عَرَفَةَ، فَأَقَامَ هُنَاكَ، حتى إِذَا مَالَتِ الشَّمْسُ، جَمَعَ بَيْنَ صَلَاتَي الظُّهْرِ، وَالْعَصْرِ، ثُمَّ رَاحَ بِالحجيجِ إِلَى عَرَفَةَ ثانيةً، فإذا غَرَبَتِ الشَّمْسُ صحِبَهم إلى مُزْدَلِفَةَ، فَجَمَعَ بِين صَّلَاتَيْ الْمَغْرِبِ، وَالْعِشَاءِ الْآخِرَةِ، حَتَّى إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ صَلَّاهُ، وصَحِبَ الحجيجَ يُرِيْهِمْ مناسكَ الحجِّ، الواحدَ تلوَ الآخرَ حَتَّى فَرَغَ مِنَها جميعاً.

إذا كانت تلك هي مفرداتُ فريضةِ الحجِّ إلى البيت العتيق قبل معرفةِ العربِ الأصنامَ، فما هو ذاكَ الذي طرأ على هذه المفردات من تغييرٍ بعد إدخالِ الوثنيينَ الأصنامَ إلى البيت العتيق، وانتشارِها ـ بعد ذلك ـ في قبائل العرب جميعِها؟

يُجيبُنا الشَّهرستانيُّ على هذا السُّؤال في أثناءِ حديثِهِ عمّا أقَرَّهُ الإسلامُ من طقوسِ وشعائرِ وثنيّي الجاهلية الدّينيّة، وعمّا أقرَّهُ من عاداتهم وأعرافهم الاجتماعيّة المُتَّصلةِ بالعقيدة، بقولِ ما من شأنه أنْ يدلَّ على أنَّ الوثنيينَ قد استمروا في حَجِّهم إلى البيت الإبراهيميِّ العتيقِ مرَّةً في العام، وعلى تأديتهم أثناءَ ذلك ما دَرَجُوا على تأديتِهِ مذْ كان إبراهيمُ فيهم، كما يدلُّ على أنَّ استقدامَهُمُ الأصنامَ إلى مكَّةَ لم يؤثِّر عليهم عقديّاً؛ إذ لم يُلْحَظْ لهذه الأصنام التي جعلوا بعضَها داخلَ البيتِ العتيقِ، وبعضَها بجوارِهِ أثرٌ في طقوسهم أو شعائرهم. قال الشهرستاني :" كانَ وثنيّو الجاهليّة يحُجُّونَ البيتَ، ويَعْتَمِرُونَ، ويُحْرِمُونَ،... ويُهْدُوْنَ الهدايا، ويَرْمُونَ الجِمارَ، ويُحَرِّمُونَ الأشهرَ الحُرُمَ، فلا يَغْزُوْنَ ولا يقاتلونَ فيها،... وكانوا ـ إذا حَجُّوا في شهرٍ من السَّنة ـ لمْ يُخْطِئُوا أن يجعلوا يومَ التَّرويةِ، ويومَ عَرَفَةَ، ويومَ النَّحْرِ، كهيئة ذلك في شهر ذي الحَجَّةِ، حتّى يكونَ يومُ النَّحْرِ اليومَ العاشرَ من ذلك الشَّهر، ويُقيمُونَ بمِنَى، فلا يَبِيْعُونَ في يوم عَرَفَةَ، ولا في أيّام مِنَى[30]". فأينَ هي الأصنامُ من هذه الطُّقوسِ؟ وأينَ أثَرُها في تلك الشّعائر التي غادَرَها فيهم إبراهيمُ الخليل؟!

إنَّ سطوةَ الأحكام المُسَبَّقة على وثنيّي الجاهليّة، وتجذُّرَ بُغْضِ الوثنيّينَ في أعماقِ علمائِنا القُدامَى أَوْقَعَ هؤلاءِ العلماءَ في شَرَكِ التَّناقضِ مع الذات، فجعلوا يُثْبتونَ ـ على كُرْهٍ منهُم ـ من المفردات العَقَديَّة للوثنيينَ ما يدلُّ دلالةً بيِّنَةً على إيمانِ هؤلاءِ الوَثنيينَ باللهِ، فيُقِرُّ علماؤنا المسلمون لهم بالإيمانِ بالله، ثمَّ يَنْسِبُونَهُم ـ بتأثير خضوعهم لسلطان الأحكام المُسَبَّقةِ على عقولهم ـ إلى عبادةِ الأصنامِ. الأمرُ الذي جعلَ هؤلاءِ العلماءَ غيرَ مُنْسَجِمِيْنَ مع ذواتهم في معظمِ ما

[30] ـ الملل والنِّحل للشهرستاني: 3/ 93.

ذكرُوهُ عن عقيدةِ وثنيّي الجاهليةِ من أجدادنا. وربما كان لنا في بعض ما ذكره ابنُ الكلبيِّ من مفردات شعائر الحجِّ الوثنيِّ ما يوضِّحُ ذلك بجلاء.

قال ابنُ الكلبيِّ متَحَدِّثاً عمّا كانت تقوله "عَكٌّ" وهي في طريقها حَاجَّةً البيتَ الإبراهيميَّ العتيقَ :" كَانَتْ تَلْبِيَةُ عَكَّ ـ إذا خَرجُوا حُجَّاجاً ـ قدَّمُوا أمامَهم غُلامَيْنِ أَسْوَدَيْنِ مِنْ غِلْمَانِهِمْ، يَقُولَانِ أَمَامَ رَكْبِهِمْ: نَحنُ غُرابَا عَكٍّ. فَتقولُ عَكٌّ مِنْ بَعْدِهِمَا: عَكٌّ **إِلَيْكَ** عَانِيَةٌ، عِبَادُكَ الْيَمَانِيَةْ، كَيْمَا نَحُجَّ الثَّانِيَةْ[31]". فإلى مَنْ تعودُ هذه "الكاف" من قولهم "إليكَ عَانِيَة"؟ ألا تعودُ إلى اللهِ؟! وهل يمكنُ أنْ تكونَ عائديَّتُها إلى الصَّنم الذي تُعَظِّمُهُ؟! ثمَّ أَلا يُحيلُنا قولُهُم "إليكَ عَانِيَة" إلى قول الله في القرآن:" عَنَتِ الوجوهُ للحيِّ القَيّوم"؟ لا نعتقدُ أنَّ ثَمَّةَ جواباً على هذا السُّؤال غيرُ نَعَمْ.

ومِثْلُ تلك المفرَدةِ العَقَديّةِ الوَثنيَّةِ في دلالتِها قولُ ابنِ الكلبي أيضاً عمّا كانت تفعلُهُ "نزارُ" من قبائل العرب، أثناءَ تأديتِها فريضةَ الحجِّ التي وَرِثَتْها عن سيِّدنا إبراهيمَ عليه السَّلام، قال:" كَانَت نزارُ ـ إذَا مَا أَهَلَّتْ ـ تقولُ: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لبَّيْكَ لَا شريكَ لَكْ، إِلَّا شريكٌ هُوَ لَكَ، تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ. **فيُوَحِّدُونَهُ بِالتَّلْبِيَةِ**، ويدخلون مَعَه أصنامهم، وَيَجْعَلُونَ مُلْكَهَا بِيَدِهِ. يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِنَبِيِّهِ (ص) {وَمَا يُؤمن أَكْثَرهم بِاللَّه إِلَّا وهم مشركون}[32]؛ أَيْ مَا يُوَحِّدُونَنِي بِمَعْرِفَةِ حَقِّي، إلا جَعَلُوا مَعِي شَرِيكًا مِنْ خَلْقِي"[33]. هكذا قال ابن الكَلبي.

إنَّ جميعَ مفرداتِ هذه التَّلبيةِ ـ كما يبدو لنا ـ تدلُّ دلالةً صريحةً على **توجُّهِ وثنيي الجاهلية إلى الله بالعبادة**، كما تدلُّ ـ في الوقت نفسه ـ على **تَرَفُّعهم عن عبادة الأصنام**؛ فقولهم" **لبَّيكَ اللّهُمَّ**" لا يدع مجالاً للشّك في **إقرارهم بوجود الله، وتوجُّههِم بالعبادة إليه دونَ سواهُ**. أمّا قولُهم "**لبَّيكَ لا شريكَ لك، إلا شريكٌ هو لك**" فيدلُّ ـ فضلاً عن دلالته ـ على توجُّههم بالعبادةِ إلى الله، على **براءتهم من تُهمة الشِّرْكِ** التي أصرَّ خصومُهم المسلمونَ على اتهامهم بها؛ إذ يشيرُ قولهم عن الصَّنم:" **شريكٌ هو لكْ، تَمْلِكُهُ ومَا مَلَكْ**" إلى اعتقادهم **بتبعيّة الأصنام، وكلِّ ما يتعلّق بها لله الذي يَمْلِكُ هذه الأصنامَ**، كما يملك سواها من الأشياء كلِّها.

إنَّ وضوحَ دلالةِ مفرداتِ هاتينِ التَّلبيتينِ الوَثنيَّتينِ على **إيمانِ وثنيّي الجاهليّةِ باللهِ الواحدِ الأحدِ الذي لا شريكَ لهُ**، لم يدعْ مجالاً لتَهَرُّبِ ابن الكلبي من إقراره واعترافه للوثنيين بالتَّوحيد، فقال عنهم مُعَقِّباً على ما ذكره من تلبيتهم:" **فَيُوَحِّدونَهُ بالتَّلبيةِ، ويجعلونَ مِلْكَ أصنامِهم بيدِهِ**[34]". **وفي اعتراف ابن الكلبي للوثنيين بتوحيد الله تبرئةٌ لهم ـ بالضَّرورة ـ من الشِّرك بالله؛ لأنَّ التوحيدَ والشِّركَ ضِدّانِ متنافرانِ لا يَصِحُّ اجتماعُهُما عقلاً**. وعلى الرَّغم من ذلك كلِّه فإنَّ ابنَ الكلبيّ لم يستطعْ ـ في نهايةِ حديثِهِ عن الوثنيينَ ـ غيرَ الاستسلامِ لسَطْوَةِ الحُكْمِ المُسَبَّقِ على وثنيي الجاهلية بالشِّرك، فزعمَ أنَّ الوثنييّنَ قد وحَّدوا اللهَ بحقٍّ، ولكنّهم وَحّدُوهُ على نحوٍ غيرِ سويٍّ، فأشركوا وَهُمْ باللهِ مؤمنونَ، وله مُوَحِّدُون، فجعلهم مؤمنينَ بالله، ومُشركين به في آنٍ معاً!

وإذا غادرنا طقوسَ الحَجِّ الوثني، أو شعائرَهُ، ورُحْنا نتلَمَّسُ آثارَ الأصنامِ فيما تركَهُمْ عليه إبراهيمُ الخليلُ من عاداتٍ وأعرافٍ اجتماعيّةٍ مُتَّصلةٍ بالعقيدةِ، لَمَا وَجَدْنَا أثراً لأصنامهم في هذه الأعراف والعادات على الإطلاق. قال الشهرستاني في حديثٍ له عن عاداتِ وثنيّي الجاهليّة وأعرافِهم:" كانوا يُحَرِّمُونَ أشياءَ نزلَ القرآنُ بتحريمها، فكانوا لا يَنْكِحُونَ الأمَّهاتِ، ولا البَناتِ، ولا الخَالاتِ، ولا العَمَّاتِ. وكان أقبحَ ما يصنعونَ أن يجمعَ الرَّجُلُ بينَ الأُختينِ، أو يَخْتَلِفَ على

---

[31]ـ الأصنام لابن الكلبي:7

[32] ـ يوسف/ 106.

[33]ـ الأصنام، ابن الكلبي: 6.

[34]ـ الأصنام لابن الكلبي: 6.

امرأةِ أبيهِ، وكانوا يخطِبُونَ المرأةَ إلى أبيها، أو أخيها، أو عَمِّها، أو بعضِ بَنِي عَمِّها، وكانوا يُطَلِّقُونَ ثلاثاً على التَّفْرقةِ، قال عبدُ اللهِ بنُ عبّاسٍ رضيَ اللهُ عنهما: أوّلُ مَنْ طَلَّقَ ثلاثاً على التَّفرقةِ إسماعيلُ بنُ إبراهيمَ عليهما السلامُ. وكانَ العربُ يفعلون ذلك؛ فيُطلِّقُ أَحدُهُم زوجتَهُ طَلْقَةً واحدةً، أو طلقتينِ، ويبقى على حقٍّ بها، حتى إذا استوفى ثلاثَ طلْقاتٍ انقطع سبيلُهُ إليها. وكانُوا يُكَفِّنُونَ موتاهُم، ويُصَلُّونَ عليهم، وكانت صلاتُهم ـ إذا مات أحدُهُم ـ حُمِلَ على سريره، ثم يقوم وَلِيُّهُ، فيَذْكُرُ محاسنَهُ كلَّها، ويُثْنِي عليه، ثمَّ يَدْفُنُهُ، ويقولُ له مُوَدِّعاً: عليكَ **رحمةُ اللهِ وبركاتُهُ**،... وكانوا يداوِمُونَ على طهارات الفِطرة التي دَلَّهم عليها إبراهيمُ عليه السَّلام، وهي طهاراتٌ عَشْرٌ: خمسٌ منها تَخُصُّ الرأسَ من الجسم، وخمسٌ تخُصُّ الجسدَ. فما يخُصُّ الرأسَ منها: المَضْمَضَةُ، والاسْتِنْشَاقُ، وقَصُّ الشَّاربِ، وفَرْقُ الشَّعر، والسِّواكُ. وأما اللواتي تَخُصُّ الجسدَ: فالاستنجاءُ، وتقليمُ الأظافرِ، ونَتْفُ الإبْطِ، وحَلْقُ العانةِ، والخِتَانُ، وكانوا يقطعونَ يدَ السّارق اليُمْنَى إذا سَرَقَ. فلمّا جاءَ الإسلامُ أَقَرَّ ذلك كلَّهُ، وجَعَلَهُ من السُّنَنِ[35]". فهلْ ثَمَّة أثرٌ للأصنام فيما أثبتناه من أعرافٍ وتقاليدَ أو عاداتٍ جاء الإسلامُ ليَجِدَها مُتَجَذِّرةً في هؤلاء الوثنيينَ المغلوبينَ على أمرهم، والذين ثارَ الإسلامُ عليهم عَقَدِيّاً، وشَهَّرَ بهم وبعقيدتهم أيَّما تَشْهيرٍ؟! ألمْ يودِّعوا ميّتَهم بالقول له: **عليكَ رحمةُ الله وبركاتُه؟ هل قالوا له: عليكَ رحمةُ فلانٍ أو فلانٍ من الأصنام؟.**

إنَّ وضوحَ دلالةِ مفرداتِ الشَّعائر العقديّة لوثنيّي الجاهليّة على براءَتِهم من عبادة الأصنام اضَّطرَّت بعضَ العلماء إلى تفسير لفظة العبادة تفسيراً ينسجم مع **الإقرار لهؤلاء الوثنيين بتوحيد الله، وعبادتِهم إيّاهُ دون سواه.** قال الشهرستاني ـ لمّا أُسْقِطَ في يده، وضَعُفتْ حُجَّتُهُ أمام حُجَجِ خصومِهِ الوثنيين ـ في تفسير كلمة "العبادة":" **إنّا نعلمُ قطعاً أنَّ عاقلاً ما، لا يَنْحَتُ جسماً بيدِهِ، ويُصَوِّرُهُ صُورةً، ثم يعتقدُ أنّهُ إلَهُهُ وخالِقُهُ، ... لكنَّ القومَ لمّا عَكَفُوا على التَّوَجُّهِ إلى الأصنام؛ كان عُكُوفُهُم ذلكَ عبادةً، وطَلَبُهُم الحوائجَ منها إثباتَ إلهيّةٍ لها**"[36]. فكيف أجاز الشهرستاني لنفسه القولَ باستحالةِ اعتقادِ إنسانٍ عاقلٍ بأُلوهيَّة ما يصنعهُ بيده، ثمَّ شَفَعَ ذلك بقوله: إنَّ ذهابَ الوثنيين إلى حيثُ الصّنمُ، وعكوفَهُم عليه إنّما هو إثباتٌ لألوهيَّته؟! إنَّه التَّحاملُ على الوَثَنيّينَ، أشخاصاً وعقيدةً، ولا أدلَّ على تحامل الشهرستاني ومَنْ لفَّ لفَّهُ من العلماء على الوثنيّين وعقيدتهم من ذهابهم إلى أنَّ عكوفَ الوثنيّين على الأصنام، وطوافَهم بها، هو دليلُ إثباتِهم أُلوهيَّتَها، في الوقت الذي لم يَرَوا في عكوفِ الإبراهيميين على الكعبة، وطوافِهم بها إثباتاً من الإبراهيميين لألوهيَّةِ الكعبة، أو عبادةً منهم لها. ونحنُ هنا لا نشبِّه الكعبةَ بالأصنام، حاشا لله، ولكنّا نشبِّهُ عكوفَ الوثنيينَ على غير الله، مُمَثَّلاً ذلك بالأصنام، بعكوفِ الإبراهيميينَ على غير الله، مُمَثَّلاً غيرُ اللهِ هذا بالكعبة؛ إذْ ليس ثَمَّةَ مِنْ ذهبَ إلى أنَّ أحداً قد عَبَدَ الكعبةَ، أو رأى فيها إلهاً. كما ليس ثَمَّة مَنْ ذهب إلى أنَّ طوافَ الناس بالكعبة، وعكوفَهم عليها شركٌ بالله.

ـ موقعُ الأصنام من المُتَنزِّهين بها:

لم تكن الأصنامُ بالنسبة إلى قاصديها مجرَّدَ أشياءٍ أو أماكنَ يتعبَّدون بها، أو يتوسَّلون بها اللهَ، إنَّما كانت بالنسبة إلى الكثيرين منهم مَقْصَداً للنُّجْعةِ والتَّنَزُّهِ والاستجمامِ، ولذلك كان أصحابُ هذه الأصنامِ يختارون لها مواقعَ مناسبةً لمِثْلِ تلك الحاجاتِ التَّرفيهيَّةِ، كأن تكونَ على شاطىء بحرٍ، أوفي وادٍ، أو على رأسِ جَبَلٍ، أو مكانٍ كثيرةٍ أشجارُهُ، وافرةٍ مياهُهُ، أو سوى هذه من مواقعَ جاذبةٍ للضَّائقينَ ذرعاً برتابة الحياة، والرَّاغبينَ ـ في الوقت نفسِهِ ـ بكَسْرِ جدار هذه الرَّتابةِ، بالذَّهابِ إلى أماكنَ يتنفَّسونَ فيها الصُّعداءَ، ويُطْلقونَ فيها العِنانَ لنفوسِهِمُ المليئةِ بهموم الحياة وأعبائِها، لتقنُصَ من

[35] ـ **المِلل والنِّحل للشهرستاني: 3/ 90 ـ 94.**

[36] ـ **الملل والنِّحل للشهرستاني: 3/ 104.**

رَحِمِ الأيّام الصَّعبةِ ما تستطيعُ اقتناصَهُ من مُتَعٍ وضروبِ لذّةٍ، تتمثَّلُ في تناوُلِهِم ما يشتهونَ من أصنافِ الطَّعامِ، وضروبِ الشَّرابِ، ومطارحةِ ما يحلو لهم من حديث.

فموضعُ " مَناةَ " منطقةُ "القُدَيد" الواقعةِ بين مكَّة والمدينة، **على ساحل البحر**، الأمرُ الذي يُؤهِّلُها لأنْ تكونَ مُنْتَجَعاً شاطِئيّاً شبيهاً ـ من حيثُ موقِعُها ـ بالمُنْتَجعاتِ البحريّة في أيّامنا هذه. وموضعُ صَنَمِ طيّىء الموسومِ بـ "الفُلْس" **قِمَّةُ جبلٍ لهم**، الأمرُ الذي يجعل منه مكاناً جاذباً للمُتَنزِّهين أيضاً، وتختارُ "مذْحِجُ" لصنمها الموسوم بـ " يغوث" **أَكَمَةً في اليمن، كثيفةَ الأشجارِ، دافقةَ المياهِ، عَذْبَتَها**. أمّا قُضاعةُ فتنصِبُ صَنَمَها الموسومَ بـ"وَدٍّ" في دُوْمَةِ الجَنْدَل، التي تتوسَّطُها عَيْنٌ دافقةٌ تسقي ما حولَها من نخلٍ وزرعٍ[37]. وتختارُ قريش "للعُزَّى" بل لمُنْتَجعِ "العُزّى" مَحْمِيَّةً من الأرض يُقالُ لها "سُقام" ـ وهي جزءٌ من وادي حُراض ـ تقع على الطريق الذي يربط مَكَّةَ بالعراق، وتبني فيه منزلاً عظيماً أرادتْ به مضاهاةَ حرمِ الكعبة المَكّيّة[38]، الأمرُ الذي أهَّلَهُ لأنْ يكونَ مقْصِداً للراغبين في قضاء ما يريدونَ قضاءَهُ من ساعاتٍ يسعَدون بها: طعاماً وشراباً ومطارحةَ أحاديثَ وحكاياتٍ تطربُ لها آذانُهم، وسوى ذلك من مناشطَ تدلُّ عليها خيرَ دلالةٍ أبياتٌ لأبي خِراش الهُذْلي، ذَكَرَ فيها ما كانت تشهدُهُ حَضْرَةُ العُزَّى ـ على سبيل المثال وليس الحصر ـ من ضروبِ التَّرفيهِ التي جاءَ أبو خِراشٍ على ذكرِها في تضاعيفِ أبياتٍ له، رَثَى فيها سادِنَ "العُزَّى" دُبيّةَ بنَ حرمي الشيبانيَّ ثم السُّلَميَّ.

قَدِمَ أبو خِراش يوماً إلى مُتَنَزَّهِ العُزّى، أو مُنْتَجَعِها، فوقَعَتْ عينُ سادِنِها دُبَيَّةَ على حِذائه الرَّثِّ البالي، فَرَقَّ له، وأهداهُ حذاءً جديداً جميلاً، فَذَكَرَ له أبو خِراشٍ جميلَ صنيعِهِ الذي لم يُرِدْ به دُبَيَّةُ غيرَ الإحسانِ لأبي خراشٍ، **محتسباً ذلكَ خيراً أرادَ به وجهَ الله وحسبُ**. قال أبو خراشٍ مُنَوِّهاً بإحسانِ دُبَيَّة إليه[39]:

حَذانِي بعد ما خَذِمتْ نِعالي ... دُبَيّةُ إنَّهُ نِعْمَ الخليلُ

مُقابَلَتَيْنِ مِن صَلَوَىْ مِشَبٍّ ... من النِّيران عَقْدُهُماْ جميلُ

بِمثلِهما نروحُ نريدُ لهوًا ... ويَقضِي حاجَهُ الرَّجلُ الرَّجِيْلُ[40]

وإذا شاءت الأقدارُ أنْ يُعْمِلَ خالدُ بنُ الوليدِ سيفَهُ في عُنُقِ دُبَيَّةَ المسكينِ تتويجاً لانتصار المسلمين على خصومهم الوثنيينَ، يجدُ أبو خِراشٍ نفسَه مَديناً لدُبَيَّةَ بذكر يدِهِ البيضاءِ التي امتدَّتْ لهُ يوماً، فيَرثيهِ بأبياتٍ جِدِّ مُؤَثِّرةٍ، يُنَوِّهُ فيها بخِصال ذلك الإنسانِ البسيطِ الطَّيِّب الذي تركَ في ذاكرة زُوَّارِ حَضْرة "العُزّى"؛ بل مُنْتَجَعِها ذكرياتٍ تَضُجُّ بكلِّ ما كان يقوم به من أعمالٍ تُدْخِلُ البهجةَ والسرورَ إلى قلوبهم، فيذكر أبو خِراشٍ لِلضَّحِيَّةِ، أو القتيلِ دُبَيَّةَ، حُسْنَ استقبالِهِ الضيوفَ الغرباءَ الذين يَحُلُّون به وقد أنهكهم السَّفَرُ والجوعُ، فلا يكونُ منه إلّا أن يلقاهُم ببشاشةٍ، ورحابةِ صدرٍ، ويقدّمَ لهم ما من شأنِهِ أن يُخفِّفَ عنهم ما كابدُوهُ، فيضعُ بينَ أيديهم ما تيسَّرَ له ممّا بقيَ في حَضْرَة "العُزَّى" من أطعمةٍ

---

[37] ـ معجم البلدان لياقوت الحَمَوي: 2/ 487.

[38]. المصدر نفسه: 4/ 116.

[39] ـ الأصنام، ابن الكلبي: 22. وانظرها في ديوان الهذليين: 140/2. منشورات الدار القومية للطباعة والنشر بالقاهرة 1965م، نسخة مُصوَّرة عن طبعة دار الكتب بالقاهرة.

[40] ـ حذا الرجلَ نعلاً: ألبسَهُ إياها، كأحذاهُ. وخَذِمَتْ نعالي: تقطَّعت. مُقابَلتين، أي لهما زِمامان.والصَّلَوانِ: ما فوق الذَّنَب من الوَرِكين. والرَّجيل: المَشّاءُ، أو كثيرالمشي.

وأشربةٍ تَصَدَّقَ بها المُتَنزِّهونَ المُتَنسِّكونَ قَبْلَهم. قال أبو خِراشٍ، وقد حلَّ بحضرة "العُزَّى" بعدما خَلَتْ من سادِنِها دُبَيَّةَ الذي تَقَرَّبَ خالدُ بن الوليد إلى الله بقطعِ رأسِهِ، وسفكِ دمه[41]:

مَا لِدُبَيَّةَ مُنْذُ الْيَوْمِ لَمْ أَرَهُ وَسْطَ الشَّرُوبِ، وَلَمْ يُلْمِمْ وَلَمْ يَطُفِ

لَوْ كَانَ حَيًّا لَغَادَاهُمْ بمُتْرَعةٍ مِنَ الرَّوَاوِيقِ[43]، مِنْ شِيزَى بَنِي الْهَطِفِ[44]

ضَخْمُ الرَّمَادِ، عَظِيمُ الْقِدْرِ، جَفْنَتُهُ ـ حِينَ الشِّتَاءِ ـ كحوض المَنْهَلِ اللَّقِفِ[45]

أَمْسَى سُقَامُ[42] خلاءً لَا أنيسَ بِهِ إِلَّا السبَاعَ، وَمرَّ الرّيحِ بالغُرَفِ

أجلْ، لقد قامت معظمُ أصنامِ الجاهليَّةِ مقامَ مُنْتَجَعَاتٍ، ومُتَنَزَّهات، ومقاصفِ أيامِنا هذه، فروَّجَتْ لِمَا نُسَمِّيْهِ اليومَ بالسِّياحة الدّينيّة، التي هي نشاطٌ استثماريٌّ يستدعي من القائمينَ عليه توفيرَ ما يقدرونَ عليه من الوسائلِ والأدواتِ الكفيلةِ بجذب أكبر عدد مُمْكِنٍ من المُرْتادِينَ، لتدُرَّ عليهم هذه المُنْتَجعاتُ "الصَّنَمِيَّةُ" ـ إذا جاز لنا استخدامُ هذا التعبير ـ أكبرَ قدرٍ من الأرزاق، أو الأرباح. وهذا هو سببُ كونِ كثيرٍ من الأصنامِ عبارةً عن بيوتٍ واسعةٍ كبيرةٍ، كثيرةِ الغُرَفِ، قادرةٍ على استيعاب عددٍ كبيرٍ من الزُوّار؛ فربيعةُ تقرَّبتْ إلى الله تعالى بالعكوف على **بيتٍ لها شَيَّدتْهُ**، وأطلقتْ عليه اسمَ"رِضى" فكان هذا **البيتُ** صَنَمها الموسومَ بهذا الاسم[46]، وكذلك تقرَّبت "حِمْيَرُ" إلى الله بالعكوف على **بيتٍ** لها أسمتْهُ" ريام" كانت تأتيهِ وتتقرَّبُ إلى الله عندَه بالذبائح[47]. و" اللاتُ" إنْ هي إلّا **بيتٌ** شِيَّدَتْهُ ثقيفُ على صخرةٍ مُرَبَّعةٍ كبيرةٍ كانَ رجلٌ يهوديٌّ يعجِنُ أو يَلِتُّ عندها الدَّقيق[48]، أمّا "العُزَّى" التي رثَى أبو خِراشٍ سادِنَها **فبيتٌ** أيضاً[49] شيَّدَهُ ظالمُ بنُ أسعد على صخرةٍ بوادٍ يُقالُ له "حُراض"، وقد أحاطَ بهذا **البيت**؛ بل بهذا **المُنْتَجَع** الذي سُمِّيَ بـ "العُزَّى" فِناءٌ واسعٌ، كثيفةٌ أشجارُهُ[50]، كثيرةٌ غُرَفُهُ، بآيةِ قولِ أبي خِراشٍ: لقد صارت غُرَفُ "سُقامُ" ـ بعد رحيلِ دُبَيَّةَ عنه ـ نَهْباً للرياح، كما صار الفِناءُ الموسومُ بِسُقام كُلُّه مرتعاً للوحوشِ بعدما فارقهُ دُبيّة.

وممّا يدلُّ أيضاً على أنَّ "العُزّى" إنمّا كانت بالنسبة إلى وثنيّي الجاهليّة مُنْتَجَعاً ومُتَنَزَّهاً دينيّاً، ولم تكن يوماً معبوداً لأحدٍ منهم، أنَّ الرسولَ الكريمَ نفسَهُ ـ قبلَ مَبْعَثِهِ نبيّاً ـ قد زارها، و ضحّى عندها بشاةٍ عفراءَ، وزَّع لحمَها على مَنْ حضرَ من

---

[41] ـ الأصنام، ابن الكلبي: 24.

[42] ـ اسمٌ للفِناء المُحيط بحضرة العُزَّى.

[43] ـ جمع راووق، وهو إناء أو دَنٌّ يُوضَع فيه الخمر. جاء في لسان العرب: 3/ 419، قوله: اجْتَمَعَ شَرْبٌ مِنْ أَهل الأَنبار وَبَيْنَ أَيديهم ناجُودُ خَمْرٍ؛أَي راوُوقٌ.

[44] ـ بنو الهَطِفِ: بطنٌ من بني عمرو بن أسد. واللَّقف: الحوضُ الذي يكسرُ الماءُ أصلَه. الأصنام، ابن الكلبي:25.

[45] . اللقف: الحوض الذي يكسرُ الماءُ أصلَهُ.

[46] ـ الأصنام، ابن الكلبي: 34.

[47] ـ الأصنام لابن الكلبي: 11.

[48] . المصدر نفسه: 16.

[49] ـ قال الطبري: كانت العُزَّى بيتاً تُعظِّمُه قريش وكنانةُ ومُضَرُ كلُّها. تاريخ الطبري:3/ 65.

[50] . دليل كثرة الأشجار في محيط العُزّى أنَّ الرسول(ص) بعدما افتتح مكّة أرسل خالدَ بن الوليد ليهدمَ العُزّى، وقال له: اذهب إلى بطن نخلة، فإنك واجدٌ ثَمَّةَ ثلاثَ سمُرَاتٍ (نوع من الشَّجر) فاقطعْها، فلمّا قطع خالدُ أُوْلَاها، وأخبر الرسول بذلك، سأله: هل رأيتَ شيئاً ؟ قال: لا، فأرسله ليقطع الثانيةَ، ففعلَ، وأخبر الرسول بذلك، فسأله: هل رأيت شيئاً؟ قال: لا، فأرسله ليقطع الثالثة، فلمّا جاءها رأى امرأةً حَبَشِيَّةً، نافشةً شعرَها، واضعةً يديها على عاتقها، تَصرِفُ بأنيابها، وخلفَها دُبَيَّةُ السُلمي، سادنُ العُزّى، فضرب خالدٌ الحبشيَّةَ، ففلقَ رأسها، ثمَّ ثَنَّى بقتل دُبَيَّةَ بعدها، وقطع الشَجرة الثالثة. انظر الأصنام لابن الكبي: 25. والسَّمُرات: جمعُ سمُرة نوعٌ من شجر الطَّلح. انظر شرح المعلَّقات السَّبع للزوزني: 37. منشورات دار إحياء التراث العربي، ط1/ 2002م.

زُوّارها[51]، **فهل يصحُّ ـ عقلاً ـ اتهامُ الرسول بعبادةِ "العُزّى" في يوم من الأيام؟ الجوابُ على هذا السؤال هو لا**، من غير شك. ولكنّه ليسَ من قبيلِ المُسْتَغْرَبِ أو المُسْتَنْكَرِ أنْ يكونَ الرسولُ قد جاءها **زائراً مُتَنَزِّهاً مُتَعَبِّداً اللهَ عندَها، فجَسَّدَ عبادتَهُ اللهَ، وتَقَرُّبَهُ إليه، بذبح الشاةِ وتوزيعِ لحمِها على أمثالِهِ من مُتَعَبِّدي اللهِ عندَها**. وإذا كان ذلك كذلك، فلمَ لا يكون الجاهليون من قريش وغيرِ قريش مثلَ الرسولِ يومَ كانَ على دين قومه ـ بحسب تعبيره ـ أتوها زُوّاراً مُنْتَجِعينَ متعبِّدين اللهَ، مُتَصَدِّقينَ على عباده بما ينحرونَ عندَها من أضاحٍ يَقسِمونَ لحومَها فيمَنْ حَضَر من الزائرين. قال ابن الكلبيّ:" **بَلَغَنَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ص) ذَكَرَ الْعُزَّى يَوْمًا، فَقَالَ: لَقَدْ أَهْدَيْتُ لِلْعُزَّى شَاةً عَفْرَاءَ وَأَنَا عَلَى دِينِ قَوْمِي. وَكَانَ لَهَا مَنْحَرٌ يَنْحَرُونَ فِيهِ هَدَايَاهَا، يُقَالُ لَهُ "الْغَبْغَبُ"، ثُمَّ يَقْسِمُونَ لُحُومَ هَدَايَاهُمْ فِيمَنْ حَضَرَ من الزائرين**[52]".

ـ الأصنامُ بابُ رِزْقٍ واسعٍ للسَّدَنةِ ومَنْ يلوذُ بهم:

لم تقتصرْ هدايا زُوّارِ الأصنامِ على ما كانوا يوزِّعونه من لُحومِ عَتائِرِهم على أمثالهم من المُتَعَبِّدينَ بها، إنما تَعَدَّتْ ذلك إلى التَّصدُّقِ بالأموال العَينيّة، نقديَّةً كانت تلك الأموالُ أم غيرَ نقديّة، الأمرُ الذي جعلَ سَدانةَ أو خدامةَ المُنْتَجعِ أو "المُتَنَزَّهِ الصَّنميِّ" التابعِ لهذه القبيلةِ أو تلك، موضعَ تنافسٍ بين أفراد القبيلة، وبطونِها، كيفَ لا؟! وقدْ كانَ في جوفِ الكعبةِ ـ على سبيل المثال ـ بئْرٌ يجمعونَ فيه ما يُهْدَى لها[53]. ولا أدلَّ على نفاسةِ ما كانَ يُهْدَى لها، من خبرٍ مفادُهُ أنَّ عبدَ المُطَّلب بنَ هاشمٍ قد استخرجَ لوَحْدِه ـ بوصفهِ القائمَ على سقايةِ الحجيج ـ من بئرِ زمزمَ الذي حفرَهُ إسماعيلُ بنُ إبراهيمَ، **غَزَالَيْنِ من ذَهَبٍ، وأسيافاً قلعيّةً، ودروعاً**، كانت "جُرْهُم" دَفَنَتْها فيه يومَ أخرجَها عمرُو بنُ لُحَي من مكّةَ عُنْوَةً، فجعلَ عبدُ المُطَّلِبِ من الأسيافِ باباً للكعبةِ، ومن غَزَالَي الذَّهب صفائحَ ذَهَبيّةً كانتْ أوّلَ ذَهَبٍ حُلِّيَتْ به الكعبةُ[54].

وممّا يَدُلُّ أيضاً على نفاسةِ ما كان يُهْدَى للأصنام، أنَّ الرسولَ ـ لمَّا أظهر اللهُ الإسلامَ على خصومه ـ كَلَّفَ عليَّ بنَ أبي طالب بهدم صَنَمِ طَيّىء الموسومِ بـ "الفُلْس" فهدمَهُ،" وَأَخَذَ سَيْفَيْنِ كَانَ الْحَارِثُ بنُ أبي شُمَّرٍ الغَسَّانِيُّ، مَلِكُ غَسَّانَ، قَلَّدَهُ إِيَّاهُمَا، يُقَالُ لَهُمَا: مِخْذَمٌ وَرَسُوبٌ، فَقَدِمَ بِهِمَا عَلِيٌّ عَلَى النَّبِيِّ (ص) فدَفَعَ الرسولُ إليه أَحَدَهُمَا، فكانَ السَيْفَ الَّذِي كَانَ يَتَقَلَّدُهُ[55]، الموسومَ بـ "ذو الفِقار".

وفي السنةِ التاسعةِ للهجرةِ يُعلنُ عروةُ بنُ مسعودٍ الثَّقَفِيُّ إسلامَهُ بين يدي الرسول، وهو في طريقه من الطَّائف إلى المدينة، ويعودُ إلى قومِهِ يدعوهم إلى الدّخولِ في الإسلام، فلمّا برزَ لقومِهِ يدعوهُم إلى الإسلام رَمَوهُ بالنَّبْلِ فقتلوهُ، ولمّا أُسْقِطَ في يد ثَقِيف، ولم تجدْ إلى بقائها على الوثنيّة سبيلاً، أرسلتْ إلى الرسولِ وفداً بايعَ الرسولَ على الإسلام، فكلَّفَ الرسولُ أبا سفيانَ بنَ حربٍ، والمُغيرةَ بنَ شعبةَ، بمرافقة وفدِ ثقيفٍ، وهدمِ صَنَمِها الموسومِ بـ "اللّاتِ"، ودفعِ ديةِ عُروةَ بنِ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيِّ وأخيه الأسودَ **ممّا يَجِدَانِهِ في خزائنِ مقامِ "اللّاتِ" من أموالٍ وحُلِيٍّ وغيرها**[56].

ولِمَا كانت تَدُرُّهُ تلك الأصنامُ ـ بوصفها مُتَنَزَّهاتٍ ومُنْتَجَعاتٍ ـ على أصحابها من أموالٍ، وهدايا مُختَلِفَةٌ أنواعُها، فقد كانَ بعضُ القبائلِ ينافسُ بعضاً في تشييدِ الأصنام، وزخرفتها، وتزويدها بالمرافق الكفيلةِ بجَذْبِ أكبر عدد من الزائرين؛ طَمَعاً فيما يُغْدِقُهُ الزُّوارُ على سَدَنَتِها ومَنْ يلوذُ بهم من عطاياهم. فها هو ذا عبدُ الدَّارِ بْنُ حُدَيبٍ يقولُ لِقَوْمِهِ من بني

---

[51] ـ الأصنام لابن الكلبي:19.

[52] المصدر نفسه: 19 ـ 20.

[53] ـ تاريخ الطبري: 2/ 240.

[54] ـ تاريخ الطبري: 2/ 251.

[55] ـ الأصنام لابن الكلبي: 61ـ 62.

[56] ـ انظر مجريات إسلام ثقيف في تاريخ الطبري: 3/ 96ـ 100.

جُهَيْنَةَ: "هَلُمَّ بنا نَبْنِي **بَيْتًا** بأرضٍ لنا نُضَاهِي بِهِ الْكَعْبَةَ، وَنُعَظِّمُهُ حَتَّى نَسْتَمِيلَ بِهِ كَثِيراً مِنَ الْعَرَبِ، فاستقبحوا ذلك وأَبَوْهُ"[57]، فهجاهُم بأبياتٍ، وَصَفَهُم فيها بالغَباء المُسْتَحْكِم بعقولهم، وشَهَّرَ بهم فيها أيَّما تشهير، لأنَّهم فَوَّتوا عليهِ، وعلى أنفسِهم فرصةَ إنشاء مُنْشَأةٍ كانت سَتَدُرُّ عليهم رزقاً وفيراً[58].

وَلَقَد أَرَدْتُ بِأَنْ تُقَامَ بَنِيَّةٌ لِيْسَتْ بحوبٍ أَوْ تَطِيفُ بِمَأْثَمِ
فَأَبَى الَّذِينَ إِذَا دُعُوا لِعَظِيمَةٍ رَاغُوا وَلاذُوا فِي جَوَانِبِ قُودَمِ
يَلْحُونَ أَن لَا يُؤْمَرُوا فَإِذَا دُعُوا وَلَّوْا وَأَعْرَضَ بَعْضُهُمْ كَالأَبْكَمِ

وقبلَ عبد الدّارِ بن حُدَيب، لا يجدُ أَبْرَهَةُ الأشرمُ ما يستَجِرُّ به أموالَ العرب إليهِ خيراً من تشييدِ بناءٍ يستحوذُ على إعجاب مَنْ يحجُّ إلى مكَّةَ من العرب الإبراهيميين، فيبني بصنعاءَ كنيسةً، قوامُها الرُّخامُ، والجيِّدُ من الخشبِ المُذَهَّبِ، ويكتبُ بذلك إلى مليكِهِ بالحَبَشَة، فيقول له:" إِنِّي قَدْ بَنَيْتُ لَكَ كَنِيسَةً لَمْ يَبْنِ مِثْلَهَا أَحَدٌ قَطُّ، **وَلَسْتُ تَارِكًا الْعَرَبَ حَتَّى أَصْرِفَ حَجَّهُمْ عَنْ بَيْتِهِمُ الَّذِي يَحُجُّونَهُ إِلَيْهِ**، فَبَلَغَ ذَلِكَ أحدَ رجالِ الدّين من العرب، ممّن كانوا يُسَمَّونَ بِنَسَأَةِ الشُّهور، فَبَعَثَ رَجُلَيْنِ مِنْ قَوْمِهِ، وَأَمَرَهُمَا أَنْ يَخْرُجَا حَتَّى يَتَغَوَّطَا فِي الكنيسة التي بناها أبرهةُ، فَفَعَلا، فَلَمَّا بَلَغَ أبرهةَ ذَلِكَ، غَضِبَ، وَقَالَ: مَنِ اجْتَرَأَ عَلَى هَذَا؟ فَقِيلَ له: بَعْضُ أَهْلِ الْكَعْبَةِ، فَغَضِبَ، وَخَرَجَ بِالْفِيلِ وَالْحَبَشَةِ، ليكونَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ، من محاولته هدمَ الكعبةِ، كما هو ذائعٌ مشهور[59]".

وممّا يدلُّ دلالةً واضحةً على أنَّ الأصنامَ في الجاهليّة إنّما كانتْ مُنْتَجعاتٍ للقوم، ومُتَنَزَّهاتٍ أكثرَ منها أحجاراً منصوبةً في هذا المكان أو ذاك، أنَّ "أبطالَ" المُسلمينَ كانوا لا يكتفونَ بهدمِها، إنّما كانوا يَهْدُمُونَها، ثمَّ يُضْرِمُوْنَ فيها النارَ، الأمرُ الذي يعني ـ بداهةً ـ أنَّ ما كانَ يحترقُ إنّما هو المَرافِقُ والغُرَفُ المحيطةُ بالصَّنم، وليس الصَّنمَ نفسَهُ؛ لأنّهُ حَجَرٌ غير قابلٍ للاحتراق. قال ابن الكلبي[60]: حينَ أسلمتْ "ثقيفُ" بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ لهدْمِ "اللّاتِ" فَهَدَمَهَا **وَحَرَّقَهَا بِالنَّارِ**. وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ شَدَّادُ بْنُ عارضٍ الْجُشَمِيُّ حِينَ هُدِمَتْ وَحُرِّقَتْ، ينْهَى ثقيفاً عَن الْعود إِلَيْهَا وَالْغَضَب لَهَا:

لَا تَنْصُرُوا "اللَّاتَ" إِنَّ اللَّهَ مُهْلِكُهَا وَكَيْفَ نَصْرُكُمُ مَنْ لَيْسَ يَنْتَصِرُ
إِنَّ الَّتِي **حُرِّقَتْ بِالنَّارِ فَاشْتَعَلَتْ** وَلَمْ تُقَاتِلْ لَدَى أَحْجَارِهَا هَدَرُ

ولا يختلفُ مصيرُ "ذي الخَلَصَةِ" عن مصير "اللات" من جهةِ قابليَّتها للاشتعال، واضّطرامِ النار فيها؛ الأمرُ الذي يدلُّ على أنَّ "ذا الخَلَصَةِ" ما كانَ صَنَماً حجريّاً وحسبُ، إنما كان مشفوعاً بمرافقَ تُؤَهِّلُهُ للنُّجْعَةِ فيه، والتَّنَزُّهِ في أرجائِهِ. ولا شكَّ عندنا في أنَّ هذه المرافقَ هي التي كانت تأكُلُها ألسنةُ النارِ التي أضرمَها المسلمون فيها. قال ابن الكلبي أيضاً:" لَمَّا فَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ، وَأَسْلَمَتِ الْعَرَبُ، وَوَفَدَتْ عَلَيْهِ وُفُودُهَا، قَدِمَ عَلَيْهِ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مُسْلِمًا، فَقَالَ الرسولُ لَهُ: يَا جريرُ أَلا تَكْفِينِي "ذَا الْخَلَصَةِ"؟ فَقَالَ لَهُ بَلَى، فَوَجَّهَهُ إِلَيْهِ، فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى بني أَحْمَسَ مِنْ

[57] ـ الأصنام، ابن الكلبي: 45.

[58] ـ انظر هذه الأبيات في الأصنام لابن الكلبي: 45ـ 46. وقُودَم: اسم جبل. انظر : معجم البلدان : 411/4.

[59] ـ الأصنام:46ـ 47.

[60] ـ الأصنام لابن الكلبي: 17.

بَجِيلَةَ فَسَارَ بِهِمْ إِلَيْهِ، فَقَاتَلَتْهُ خَثْعَمٌ وَبَاهِلَةُ دُونَهُ، فَقَتَلَ مِنْ سَدَنَتِهِ مِنْ بَاهِلَةَ يَوْمَئِذٍ مِائَةَ رَجُلٍ، وَأَكْثَرَ الْقَتْلَ فِي خَثْعَمٍ، فَقَتَلَ مَائَتَيْنِ مِنْ بَنِي قُحَافَةَ بْنِ عَامِرِ بنِ خَثْعَمٍ، فَظَفَرَ بِهِمْ، وَهَزَمَهُمْ، وَهَدَمَ **بُنْيَانَ ذِي الْخَلَصَةِ، وَأَضْرَمَ فِيهِ النَّارَ فَاحْتَرَقَ**[61]"؛ أيْ احترقتِ المرافقُ المُحيطةُ به.

ـ موقع الأصنامِ ممّنْ يَضْرِبونَ عندَها بالقِداح:

لقد عرفَ وثنيو الجاهليّة ما يُسَمّى في أيامنا هذه بـ"الاستخارة" أو "القُرْعَة" التي يلجأ إليها الإنسانُ عندما يجدُ نفسَهُ مُضَّطراً إلى اختيار أمرٍ ما من بين عدَّةِ أمور متاحةٍ له، فيُلْقي تَبِعَةَ خيارِه على الأقدار؛ كيلا يُحِسَّ بالذَّنبِ، أو تأنيب الضَّمير، إذا اختارَ من بين الخيارات المُتاحة له خياراً سيِّئاً، قد يُفْضِي به أو بغيره إلى التَّهْلُكَة، أو ما يقرُبُ منها.

جاء في تاريخ الطَّبريِّ أنَّ عبدَ المُطَّلِبِ بنَ هاشمٍ قد نَذَرَ ـ لِمَا لَقِيَهُ من أذى قُريشٍ أثناءَ محاولتِهِ ترميمَ زَمْزَمَ الذي حفرَهُ إسماعيلُ بنُ إبراهيمَ عليهما السَّلام ـ أن يُضَحّيَ عندَ الكعبةِ بواحدٍ من أبنائهِ إذا صاروا عَشْرَةً، فلمّا بلغوا هذا العَدَدَ جَمَعَهُم وأخبرهم بنَذْرِه، ودعاهم إلى إعانته على الوفاءِ للهِ بنذْرِهِ، فاستجابوا لطلبه، وقالوا له: أَشِرْ بما علينا فِعْلُهُ. قال: يأخذُ كلٌ منكم قِدْحاً، يكتبُ فيه اسمَهُ، ثم ائتوني بالقِداح، فلمّا وافُوهُ بها، دخلِ على "هُبَلٍ" في جوف الكعبة، وكان عندَ هُبَلٍ سبعةُ أقْدُحٍ، فقال عبدُ المُطَّلِبِ لصاحبها: اضربْ على بَنِيَّ هؤلاء بقِداحِهم هذه، وأَخْبَرَهُ بنَذْرِه الذي نَذَرَ، فأعطاهُ كلُّ رجلٍ منهم قِدْحَهُ الذي فيه اسمُهُ،... فلما أخذَها منهم ليضربَ بها، **قام عبدُ المُطَّلِبِ عندَ "هُبَل" في جوفِ الكعبةِ يدعو اللهَ**، ثم ضَرَبَ صاحبُ القِداحِ، فخرج القِدْحُ على ابنِهِ عبدِ الله، فَهَمَّ عبد المُطَّلبِ بذبحِهِ، فحالَتْ قريشٌ بينَه وبينَ ما عَزَمَ عليه، قائلةً له: والله لن تَذْبَحَهُ حتى تَفْدِيَهُ، فإنْ كان فِداؤُهُ بأموالِنا فَدَيناهُ، هيّا بنا إلى الحِجازِ، فإنَّ ثَمَّةَ عَرَّافةً لها تابعٌ من الجِنِّ، فَسَلْهَا، إن أَمَرَتْكَ بذبحِهِ ذَبَحْتَهُ، وإن أمَرَتْكَ بأمرٍ لكَ ولهُ فيه فرجٌ قَبِلْتَه. فانطلقوا بعبدِ الله(والدِ الرسول) حتى وصلوا خيبرَ (حيثُ كانَتِ العَرّافةُ موجودَةً) وأخبروها بما جاؤوا لأجله، فاستَمْهَلَتْهُم ذلكَ اليومَ لتَعْرِضَ الأمرَ على تابِعِها من الجِنّ، فانصرفوا عنها ذلكَ اليومَ، وجاؤوها في اليوم التالي، وسألوها الذي أخبرها به تابعُها، فقالت لهم: لقد جاءني الخَبَرُ بشأنكم، كم الدِّيَةُ فيكم؟ قالوا: عشرٌ من الإبل، فقالت: ارجعوا إلى بلادكم، ثم قرِّبوا صاحبَكم، وعَشْراً من الإبل، ثم اضربوا عليها وعليه بالقِداح، فإن خرجَتْ على صاحبكم، زِيدوا في الإبل عشراً فعشراً، حتى إذا خرج القِدْحُ على الإبل نَحَرْتُمُوها، فعادوا أدراجَهم إلى مكَّةَ، فأتى عبدُ المطلب بابنِهِ عبدِ الله، وعَشْرٍ من الإبل، وسلّمهم لِمَنْ يضرب بالقِداح، **ودخل ـ كما فعل من قبلُ ـ جوفَ الكعبة عند "هبل" يدعو الله**، فخرج القِدْحُ على عبد الله، فزادوا عشراً، واستمروا على ذلك حتى بلغتِ الإبلُ مائةً، فضربوا القِدْحَ، فخرج على الإبل، فقالت قريشٌ ومَنْ حَضَرَ: بُشْراكَ عبدَ المطلبِ، لقد رضيَ ربُّك بمائةٍ من الإبل، فنَحَرَها عبدُ المُطَّلِب، وتَرَكَ لحومَها نَهْباً، لا يُصَدُّ عنها إنسانٌ ولا سَبُعٌ[62].

أينَ هو عبدُ المُطَّلبِ من عبادةِ "هُبَل" بالاستناد إلى هذه الرواية؟! لقد ذُكِرَ في هذه السَّردية أكثرَ من مَرَّة أنَّ عبدَ المُطَّلِبِ كان يدخلُ على "هُبَل" ثمَّ **يدعو اللهَ** في الوقت الذي كان السادنُ فيه يضربُ بالقِداح؛ الأمرُ الذي يعني أنَّ عبدَ المطلب يلتمسُ حاجتَه **من الله** لا من "هُبَل" الذي لا دورَ له ـ بالاستناد إلى هذه السَّردية ـ سوى كونِه مكانَ الاسْتِقْسامِ بالقِداح لا أكثرَ. ثمَّ إنَّ عبدَ المُطَّلِب نفسَه لم يلتزم بما قَسَمَتْهُ له قِداحُ "هُبَل" إنما سلكَ في الاسْتِقْسامِ بالقِداحِ مَسْلَكاً جعلَ "هُبَلاً" بموجبه يضربُ بالقداح لدى عبد المُطَّلب وليس العكس؛ لأنهُ جَعَلَ "هُبَلاً" أمامَ خيارٍ واحدٍ لا ثانيَ له، وهو الخيارُ المُؤَدِّي إلى قبولهِ بالإبلِ كارهاً لا طائعاً، لأنَّ عبدَ المُطَّلب عادَ من خيبرَ وقد عزمَ على أنْ يزيدَ عددَ الإبلِ عشراً

[61] ـ **المصدر نفسه: 35ـ 36.**

[62] ـ **انظر الخبرَ في تاريخ الطبري: 2/ 240ـ 243.**

فعشراً، كلّما أصابَ القِدْحُ ابنَهُ عبدَ الله ، وعزمَ على أنْ يستمرَّ في زيادة عددِ الإبل حتى يُصيبَها القِدْحُ، بالغاً عَدَدُها ما بلغَ، وبذلك غدا "هبلُ" كأنَّه الذي يستقسمُ بالقِداحِ لدى عبد المُطَّلب وليس العكس.

وإذا كان عبدُ المطلب قد احتالَ على الصَّنم، إذ وضعَه أمام خيارٍ واحدٍ اختارَهُ هو له، فإنَّا نرى امرأ القيس بنَ حجر الكنديّ يَعْنُفُ بوجه الصَّنم، ويُقَرِّعُهُ عندما يختارُ الصَّنمُ له خياراً لا يريدُهُ، فيَضْرِبُ بالصَّنمِ، وبما اختارَه له عُرَضَ الحائط، ويَختارُ هو لنفسه ما رآهُ مناسباً لمثلِ حالتِهِ. فقد جاء في بعض كتب الأخبار أنَّ امرأ القيس خرجَ يريد الغارةَ على بني أسدٍ، قَتَلَةِ والدِهِ، فمرَّ بالصَّنم الموسوم بـ"ذي الخَلَصَة" الذي كانت له ثلاثةُ أَقْدُحٍ: آمرٌ، وناهٍ، ومُتَرَبِّصٌ، فكان نصيبُهُ منها النَّاهِي، ثلاثَ مرّاتٍ متتاليةٍ، فما كان من امرىء القيس إلّا أن كَسَرَ القِداحَ، وضربَ بها وجهَ الصَّنم، وقال له مُوَبِّخاً: عضَضْتَ بأير أبيكَ، لَوْ كَان أَبُوكَ قُتِلَ مَا عَوَّقْتَنِي، وأنشد:

لَو كنت يَاذَا الخَلَصِ الموتُورا مثلي، وَكَانَ شيخُكَ المقبورا

لم تَنْهَ عَنْ قَتْلِ العُداةِ زُوْرا[63]

ثُمَّ غَزَا بَنِي أَسَدٍ فَظَفَرَ بهم، ولم يستقسمْ عِنْد صَنَمٍ بعد ذلك.[64] وبما أنَّ امرأ القيس قد شتمَ الصَّنمَ بألفاظٍ جِدِّ مُقْذِعةٍ، وجعلَ له والداً، وجعلَ لوالدِه أيْراً فقد دلَّ دلالةً بيِّنَةً على أنّه لم يَعْبُدْ صنماً قَطُّ، ولم يعتقدْ يوماً بألوهيَّتِهِ.

ـ موقع الأصنام من المُتَبَرّكين بها:

لا يختلفُ موقعُ الأصنام من المستقسمينَ عندها بالقداحِ، عن موقعها ممّن قصدوها مُتَبَرِّكينَ بها، فإذا أصابَهُمْ عندَها سوءٌ عَنَفُوا بوجهها، وكالُوها شَتْماً وسَبّاً، ولامُوا أنفسَهُم على ثقتهم غيرِ المُبَرَّرَةِ بها؛ لأنها مجرّدُ أحجارٍ وصخورٍ لا حولَ لها ولا قوّةَ، وليست أهلاً لطلب شيءٍ منها. قال ابن الكلبيّ[65]: كان لِكِنانةَ صنمٌ بساحل جُدَّة يقالُ له "سَعْدٌ"، وَكَانَ صَخْرَةً طَوِيلَةً. أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْهُم بإبلٍ لَهُ لِيَقِفَهَا عَلَيْهِ **يَتَبَرَّكُ بِذَلِكَ فِيهَا**، فَلَمَّا أَدْنَاهَا مِنْهُ نَفَرَتِ الإبلُ، وَذَهَبَتْ فِي كُلِّ وجهٍ، وَتَفَرَّقَتْ عَلَيْهِ، فَتَنَاوَلَ حَجَرًا ورَمَى به "سَعْداً" وَقَالَ له: **لَا بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ إِلَهًا**، لقد أَنَفَّرْتَ عَلَيَّ إِبِلِي، ثُمَّ خرج فِي طلبَهَا حَتَّى جَمَعَهَا، وانْصَرَفَ عَنْ "سَعْدٍ" وَهُوَ يَقُولُ:

أَتَيْنَا إِلَى "سَعْدٍ" لِيَجْمَعَ شَمْلَنَا فَشَتَّتَنَا "سَعْدٌ"، فَلا نَحْنُ مِنْ سَعْدِ

وَهل "سَعْدُ" إلا صخرةٌ بتنوفةٍ من الأَرْض لَا يُدْعَى لِغِيٍّ وَلا رُشْدِ

فقولُ صاحبِ الإبلِ للصَّنمِ "سَعْدٍ":**لا بارَكَ اللهُ فيكَ إلهاً** " يدلُّ دلالةً واضحةً على أنَّ الصَّنمَ "سَعْداً" بالنسبة إلى هذا الرجل شيءٌ آخرُ غيرُ اللهِ، ودونَهُ أيضاً، على الرَّغم من تسميتِهِ إلهاً؛ فالإلهُ (سعْدٌ) ـ بالنسبة إلى هذا الرّجل ـ مُجَرَّدُ صخرةٍ بتنوفة، لا يَجْدُرُ بذي الُّلبِّ التماسُ شيءٍ منه. فهلُ يسوغُ لنا اتهامُ رجلٍ بعبادة شيءٍ **يضربُهُ بالحجر، ولا يراهُ جديراً بالتماسِ شيءٍ منه،** ويقولُ له: **لا بارَكَ اللهُ فيكَ؟!** وهنا قد يعترضُنا قولُ أحدهم لنا: لماذا سَمَّى هذا الرّجلُ "سَعْداً" إلهاً إذنْ؟ وفي الجواب على ذلك نقول: إنَّ الإلهَ ـ بالنسبة إلى الوثنيين ـ غيرُ الله، ولذلك كنّا نراهم يشيرونَ إلى اللهِ، بإلَهِ الآلهةِ، أو رَبِّ الأربابِ، في إشارةٍ منهم إلى أنَّ هذه الأصنامَ آلهةٌ على سبيل المَجاز، لا على سبيل الحقيقة؛ أمّا

---

[63] ـ البيت في السيرة النبوية لابن هشام الحِميري: 1، 56. وهو ليس في ديوان امرىء القيس.

[64] ـ الأصنام لابن الكلبي: 47.

[65] ـ الأصنام لابن الكلبي: 37.

اللهُ، أو الإلهُ العامُّ، فهو المُعَبَّرُ عنه بقولهم" إلهُ الآلهةِ" فالأصنامُ آلهةٌ كثيرة، وإلهُهُا جميعاً هو اللهُ الذي يعبدونْ، وكذلك هو الأمر بالنسبة إلى قولهم " ربُّ الأرباب" فالأربابُ هي هذه الأصنام، وربُّها جميعاً هو اللهُ الذي يعبدون أيضاً. وهذا هو معنى قولِ أهلِ الشّامِ لعَمْرِو بنِ لُحَي ـ عندما سألهم عن الأصنام التي وجدَها عندَهم ـ: "**هذه أربابٌ** اتَّخذناها على شكل الهياكل العُلْويةِ، والأشخاص البشرية، نستنصرُ بها فتُنْصَرُ، ونستسقي بها فتُسْقى، ونستشفي بها فتُشفَى[66]". فالذي يدلُّ على أنَّ هذه الأربابَ ـ بالنسبة إليهم ـ أربابٌ مجازيّةٌ، هو أنهم لم يرجوها النَّصرَ، أو الشِّفاءَ، إنما رَجُوا النّصْرَ بها، لا منها، وكذلك رَجُوا السُّقيا بها، لا منها، أمّا الذي استسقوهُ بها، واستشفوهُ، واستنصروهُ، فهو ربُّها الذي يعبدونَ. أمَّا هي فمثلُها مثلُ هذا الرَّبِّ أو الصَّنمِ الذي قال فيه الشاعرُ[67] مستهزئاً عندما رأى ثعلباً يبولُ على رأسه:

أَرَبٌّ يَبُولُ الثُّعْلبانُ برَأْسِه؟ لَقَدْ ذَلَّ مَن بالَتْ عليهِ الثَّعالِبُ

وقريبٌ ممّا حصل للرَّجل الذي نَفَرَ "سعْدٌ " إبلَهُ، حصل لجَعْفَرَ بن أبي خلاسٍ الْكَلْبِيِّ الذي خرجَ على نَاقَةٍ له فمرَّت به على صَنَمٍ لبَنِي عَنْزَةَ، يقال له "سُعَيْر" وكانَ ثَمَّةَ أناسٌ قد عَتَروا، أو ضَحّوا عندَهُ بعَنْزَةٍ، فنَفَرتْ ناقةُ جَعْفَرٍ ممّا رأته، فَأَنْشَأَ ساخراً من تَحَلُّقِ الناسِ حولَ جمادٍ لا يستطيعُ أن يَنْبِسَ ببنتِ شفة:

نَفَرَتْ قَلُوصِي مِنْ عَتَائِرَ صُرِّعَتْ حَوْلَ السُّعَيْرِ تَزُورُهُ ابْنَا يَقْدُمِ[68]

وَجُمُوعُ يَذْكُرَ مُهْطِعِينَ جَنَابَهُ مَا إِنْ يُحِيْرُ إِلَيْهِمُ بتَكَلُّمِ

فالشّاعرُ لم يذكرْ "سُعَيْراً" بما يدلُّ على أنّه يُكِنُّ له شيئاً من الإجلال، أو الاحترام، أو التقدير، ناهيكَ عن التأليه.
وأين هي تلك الأصنامُ أو الأنصابُ والأوثانُ من عقيدةِ عامرِ بنِ الطُّفيل الذي جاء يوماً أخوالَه من "غَنِيٍّ" زائراً، فرآهم يطوفونَ بنُصُبٍ لهم، فما أعجبهُ ممّا رآهُ غيرُ جَمالِ أَلْياتِ بَناتِهِم وهُنَّ يَطُفْنَ بِنُصُبٍ لهم، فقال مُتَغَزِّلاً بهنَّ[69]:

أَلا يا لَيتَ أَخوالي غَنِيّاً عَلَيهِم كُلَّما أَمسَوا دُوارُ

بِبِرِّ إِلَهِهِم وَيَكونُ فيهِم عَلى العافينَ أَيّامٌ قِصارُ

وعلى أيَّةِ حال، فربما بات واضحاً لنا ـ بالاستناد إلى ما أثبتناه من أمثلة الضَّرْبِ بالقداح عند الأصنام، وزيارتها تَبَرُّكاً بها ـ أنَّها لم تَرْقَ إلى مستوى المعبود بالنسبة إلى أيٍّ من هؤلاء الجاهليين الوثنيين الذين "اسْتَقْدَحُوا"[70] عندها، أو زاروها تَيَمُّناً وتَبَرُّكاً.

ـ موقعُ الأصنام من المستشفِعينَ بها:

لا أدلَّ من القرآن الكريم على موقع الأصنام من عقيدة مَنْ يستشفعونَ اللهَ لأنفسهم بها؛ ذلك أنَّهُ كان ساحةَ حِجاجٍ بينَ وثنيي الجاهليّة وخصومهم المسلمين، وقد تَمَحْوَر هذا الخلافُ بينهما فيه، حولَ موقعِ الأصنامِ من عقيدة هؤلاء

---

[66] ـ الملل والنحل للشهرستاني: 3/ 77.

[67] ـ نُسِبَ البيت في لسان العرب: 1/ 237، إلى عدَّة شعراء، منهم غاوي بن ظالمٍ السُّلَمِيّ، وأبو ذَرّ الْغِفَارِيِّ، والعَبَّاس بْنِ مِرْداس السُلَمي.

[68] ـ يقدم ويذكُر بطنان من عَنْزَة.

[69] ـ ديوانُ عامر بن الطُّفيل: 76. منشورات دار صادر ببيروت 1979م. والأصنام لابن الكلبي: 42.

[70] ـ ضربوا عندها بالقداح على غرار ما فعل عبد المطلب بن هاشم، وامرؤ القيس بن حجر الكندي.

الوثنيين، من جهة عبادتِهم إيّاها، أو تعبُّدِهم بها؛ فألَحَّ الوثنيون على أنَّ الأصنامَ بالنسبة إليهم ليست أكثرَ من أشياءٍ أو مواقعَ وأماكنَ **يتوسَّلون بها الله**، وأصرَّ خصومُهُم المسلمون ـ في مقابل ذلك ـ على اعتبار **توسُّلِ الوثنيينَ الله بالأصنام إنما هو شِرْكٌ بالله**، فكَثُرت لذلك الآياتُ التي ضَمَّنَها المسلمون حُجَجَهُم وحُجَجَ خصومِهم في آنٍ معاً؛ لأنَّ القرآنَ لم يشتملْ إلّا على ما قَبِلَ به المسلمون، بوصفه كتاباً إلهيّاً إسلاميّاً، لا يدَ للوثنيينَ أو غيرهم من أصحاب العقائد الأخرى فيه؛ الأمرُ الذي يعني ـ بالضَّرورة ـ أنَّ الوثنيينَ قد احتَجُّوا ـ في القرآن ـ بحُجَجِ المسلمينَ عليهم، لا بحُجَجِهِم هُمْ على المسلمين. وإليكَ ـ على سبيل التمثيل لذلك ـ آيتين اثنتين احتجَّ بهما المسلمون على خصومهم، بل أعدائهم الوثنيين، مشفوعَتَيْنِ بتفسير المسلمينَ الذين فسَّروا حُجَّةَ الوثنيين التي اختاروها لهم تفسيراً اعترفوا بموجبه للوثنيين **بعدم عبادتهم الأصنامَ**، بل اعترفوا بموجبه لهم **بعبادة الله وتوحيده**. قال أبو جعفر الطبري في تفسير قوله تعالى على لسان الوثنيين: مَا نَعبُدُهُم إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ. [الزمر:3] قال الطبريُّ مفسِّراً: يقول الوثنيون للأصنام: إنّا لا نَعْبُدُكُمْ ... إلّا **لتقرِّبونا إلى الله زُلْفَى، وتشفعوا** لنا عندَه في حاجاتنا[71]. فهل في تفسير الطبري ما يدلُّ على نكران الوثنيينَ وجودَ الله، أو عبادتَهم **غيرَه؟** بل هل في تفسيره ما دلَّ على غير ما أرادَ الوثنيون الدلالةَ عليه، مُمَثِّلاً بأنَّ الأصنامَ **شفيعةٌ لهم عند الله، وليست اللهَ الذي يعبدون؟** وفي جوابنا على ذلك نقول: لا، إنَّ الطَّبري ـ في تفسير ما قاله الوثنيون ـ احتجَّ للوثنيينَ لا عليهم؛ إذْ لم يقلْ في تفسير ما قالوه، غيرَ ما قالوه، فكأنّا به قد فسَّرَ الماءَ ـ بعد الجَهْدِ ـ بالماءِ.

وممّا احتجَّ به المسلمون على الوثنيين قولُهُ تعالى في سورة "يُونُس" وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُم وَلَا يَنفَعُهُمْ، وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ. [يونس: 18]. قال الطَّبري في تفسير هذه الآية**:** يقول تعالى: ويعبُد هؤلاء المشركون ـ من دون الله ـ الذي لا يضرُّهم شيئًا ولا ينفعهم، في الدنيا ولا في الآخرة، وذلك هو الآلهةُ والأصنامُ التي كانوا يعبدونَها، ويقولون: هؤلاء **شفعاؤنا عند الله؛ أيْ أنَّهُم يعبدونَها رجاءَ شفاعتِها عند الله**[72]. فهذا التفسير للطبري لا حُجَّةَ فيه للمسلمين على خصومهم الوثنيين، وليس فيه غيرُ قولِ ما قاله الوثنيون عن أنفسهم بأنفسهم، (يعبدونها ـأي يعظِّمونها ـ رجاءَ شفاعتِها عندَ الله) ففسَّرَ بذلك الطَّبريُّ قولَهم بقولِهم، أو فسَّرَ الماءَ أيضاً ـ بعد الجهد ـ بالماء. وبذلك يكون المسلمونَ قد نصَّبوا أنفسَهم بالنسبة إلى الوثنيين خَصْماً وحَكَماً في آنٍ معاً، واحتَجُّوا عليهم بآياتٍ إسلاميّة أَثْبَتَتْ عليهم **الاستشفاعَ بالأصنامِ عندَ الله**، وهو عينُ ما أراده الوثنيون أنفُسُهم؛ لأنَّ في ذلك دليلاً على عدمِ إرادتهم من الأصنام أكثرَ من **التوَسُّل بها والرَّجاء**، فكأنّا بهم يقولون لله: إنّا نتوسَّلُ إليكَ بهذه الأشياءِ، أمّا الأمرُ فهو لكَ أيَّها اللهُ من قبلُ ومن بعدُ.

ولأنَّ الأصنامَ كانت بالنسبة إلى الوثنيين غيرَ معبودةٍ بذاتها، وكانت مجَرَّدَ أشياءٍ يتوسَّلون به إلى الله، ويرجُونَ بها شفاعتَه، فقد أثْلَجَ الرسولُ الكريمُ صدورَ خصومِهِ الوثنيينَ عندما قَرَّرَ العَمَلَ على رأْبِ الصَّدْعِ بين المسلمينَ وخصومِهم الوثنيين، فقالَ بحَقِّ الأصنامِ خيراً، ووافَقَ الوثنيينَ رأيَهم في مشروعيّةِ رجاءِ شفاعتِها عندَ الله، فهلَّلَ الوثنيون لِمَا سَمِعُوهُ من الرسول بحقِّ أصنامِهِمْ، **وسجدُوا لله** عرفاناً منهم بفضلِهِ عليهم، واتَّخذوا ـ على الفور ـ الرسولَ إماماً لهم في الصّلاة، وانتشرَ انتشارَ النارِ في الهشيمِ خبرُ إسلامِ قريشٍ، حتى إذا سَمِعَ به مَنْ هاجَرَ إلى الحبشة من المسلمينَ سُرَّ باجتماع العربِ، مُسلمين ووثنيين، أو "أَصْنامِيّيْنَ" على كلمة سواءٍ بينهم، فعادُوا قاصدينَ مكَّةَ على عَجَلٍ، فَما وصلُوها حتى بلغَهُم نبأُ عودةِ الرَّسول إلى موقفه السَّابق من الأصنام، واعتذارِه عمّا ذَكَرَهُ مِنْ خَيرٍ بحقِّها، الأمرُ الذي أدّى إلى

---

[71] **ـ تفسير الطبري: 21/ 251. منشورات دار التراث بمكة المكرمة، نسخة مصورة عن تحقيق محمود محمد شاكر.**

[72] **ـ تفسير الطبري :15/ 46.**

عودة كلٍّ من الفريقين إلى موقفه الذي كان عليه من قبلُ. قال محمد بن جرير الطَّبري نقلاً عن مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ: "لَمَّا رأى رسولُ الله (ص) تَوَلِّيَ قَوْمِهِ عَنْهُ، تَمَنَّى فِي نَفْسِهِ أَنْ يَأْتِيَهُ مِنَ اللَّهِ مَا يُقَارِبُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْمِهِ، وَكَانَ ـ مَعَ حُبِّهِ قَوْمَهُ ـ يَسُرُّهُ أَنْ يَلِينَ لَهُ بَعْضُ مَا قَدْ غَلُظَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِهِمْ، حَتَّى تَمَنَّى ذلك وَأَحَبَّهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عليه قولَهُ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّاتَ وَٱلْعُزَّى، وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ[73]، تلك الغرانيقُ العُلا، وإنَّ شفاعَتَهُنَّ لتُرْتَجَى" فَلَمَّا سَمِعَ القُرَشيونَ الآيتين الأخيرتين، مُمَثَّلتين بقوله" تلكَ الغرانيقُ العُلا، وإنَّ شفاعَتَهُنَّ لتُرْتَجَى" سُرُّوا، وانْفَرَجَتْ أساريرُهُم، وهَدَأتْ ثائرتُهم، وقالوا للرسول: قَدْ **عَرَفْنَا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ الَّذِي يَخْلُقُ وَيَرْزُقُ، وَلَكِنَّ آلِهَتَنَا (أصنامَنا) هَذِهِ تَشْفَعُ لَنَا عِنْدَهُ، أَمَّا وقد جَعَلْتَ لَهَا نَصِيبًا فَنَحْنُ مَعَكَ**[74]" فَلَمَّا خَتَمَ الرسولُ الكريمُ السُّورَةَ، سَجَدَ، فَسَجَدَ الْمُسْلِمُونَ بِسُجُودِه، وَسَجَدَ مَنْ فِي الْمَسْجِدِ مِنَ وَثَنِيِّي قُرَيْشٍ وَغَيْرِهِمْ، حتّى لم يَبْقَ فِي الْمَسْجِدِ مُؤْمِنٌ وَلا كَافِرٌ إِلَّا سَجَدَ، ثُمَّ تَفَرَّقَ النَّاسُ، وَخَرَجَتْ قُرَيْشٌ فرحةً بما قاله الرسولُ بحقِّ اللّات والعُزّى ومناةَ. فسمعَ بالسَّجْدَةِ مَنْ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ مِنْ المسلمين، فسَرَّهُم نبأُ إسلامِ قُرَيْش، فجاؤوا مكّةَ مسرعينَ، حَتَّى إِذَا دَنَوْا مِنْها بَلَغَهُمْ أَنَّ الرسولَ قد عاد إلى موقفه الذي كان عليه من الأصنام، فعادتْ قريشُ ـ بدورها ـ إلى ما كانت عليه من قبلُ؛ وقد تمثَّلَ رجوعُ الرسولِ عن موقفه الذي رضيَ به الوثنيون باستبداله آيَتي " تلك الغرانيقُ العُلا، وإنَّ شفاعَتَهُنَّ لتُرْتَجَى" بقوله:" أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثى، تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزى، إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْماءٌ سَمَّيْتُمُوها أَنْتُمْ وَآباؤُكُمْ، ما أنزلَ اللهُ بها مِنْ سلطانٍ[75]". قال الطَّبريُّ: لماّ بلغَ جبريلَ قولُ الرسولِ عن "اللّات والعُزَّى ومَناة، إنّها الغرانيقُ العُلى، وإنَّ شفاعَتَهُنَّ لتُرتَجَى" جاء إلى الرسولِ، وقال له: ما هذا الذي صَنَعْتَ يا رسولَ الله؟! لَقَدْ تَلَوْتَ عَلَى النَّاسِ مَا لَمْ آتِكَ بِهِ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَقُلْتَ مَا لَمْ يَقُلْ لَكَ! فَحَزِنَ رَسُولُ اللَّهِ عِنْدَ ذَلِكَ حُزْنًا شَدِيدًا، وَخَافَ مِنَ اللَّهِ خَوْفًا كَثِيرًا، فأبدلَهُ اللهُ قولَهُ في اللّاتِ والعُزَّى ومناة: إنَّها الغرانيقُ العُلَى، وإنَّ شفاعتَهُنَّ لتُرتجى" بقوله: أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى، أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثى تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزى، إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْماءٌ سَمَّيْتُمُوها أَنْتُمْ وَآباؤُكُمْ ما أنزلَ اللهُ بها مِنْ سلطانٍ". فَلَمَّا بلغَ قريشاً تراجعُ الرسولِ عن ذكرِهِ أصنامَهم بخير، قالت: لقد نَدِمَ مُحَمَّدٌ عَلَى مَا ذَكَرَ مِنْ مَنْزِلَةِ **آلِهَتِنا عِنْدَ اللَّهِ**، فَغَيَّرَ ذَلِكَ وَجَاءَ بِغَيْرِهِ، فَازْدَادُوا شَرًّا إِلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ، وَشِدَّةً عَلَى مَنْ أَسْلَمَ[76]".

ولن يفوتَنا هنا التَّنبيهُ إلى أهميّةِ دلالةِ قولِ الوَثنيينَ، أو الصَّنَميينَ ـ لمّا بلغَهُم تراجعُ الرسولِ الكريم عن موقفه السابقِ من بعض أصنامهم ـ: "لقد نَدِمَ مُحَمَّدٌ عَلَى مَا ذَكَرَ مِنْ مَنْزِلَةِ **آلِهَتِنا عِنْدَ اللَّهِ**"، لأنَّ قولَهم هذا واضحُ الدَّلالةِ على أنَّ هذه الأصنامَ التي نَوَّهَ بها الرسولُ **ليست الله** بالنسبة إليهم. ولولا أنَّ الرسولَ يعرفُ يقيناً أنَّ الوَثنيينَ لا يعبدونَ هذه الأصنامَ، ويعرفُ يقيناً أيضاً، أنْ لا ضيرَ من التَّقرُّب إلى الله عندَها، أو عندَ غيرها من الأشياء، لَمَا ذَكَرَها بخيرٍ، كيفَ لا، وهو الذي ما عَبَدَ الأصنامَ يوماً، ولكنَّه ـ كما مرَّ بنا ـ لم يَتَرَفَّعْ عن زيارتها، والتَّقَرُّب إلى الله عندها بذبحِ شاةٍ عفراءَ، تَصَدَّقَ بلَحْمِها على مَنْ كانَ حاضراً من الزُّوار؟! أمّا الزَّعمُ بأنَّ الشيطانَ هو مَنْ قَوَّلَ الرسولَ بحَقِّ "(اللّات والعُزّى ومناة) : "تلك الغَرانيقُ العُلا، وإنَّ شفاعَتَهُنَّ لَتُرْتَجَى" فراجعٌ ـ من وجهة نظرنا ـ إلى رفضِ بعضِ أصحاب النفوذِ في الإسلامِ الوليدِ جنوحَ الرسول إلى اللِّينِ جنوحاً يؤدي إلى رأبِ الصَّدْعِ بين العرب، واجتماعهم على كلمةٍ سواءٍ بينَهُم، تُرضِي الطَّرَفينِ المتخاصِمَيْنِ كليهما، فنَسَبوا امتداحَ الرسولِ الأصنامَ، وتنويهَهُ بها، إلى الشّيطانِ،

[73] ـ النّجم/ 19، 20.

[74] ـ تاريخ الطبري: 340/2. والكامل في التاريخ لابن الأثير:1/ 673

[75] ـ النّجم/ 21، 22، 23.

[76] ـ تاريخ الطبري: 2/ 339 ـ 340.

لأنَّهم أرادوا إحرازَ نصْرٍ مُؤَزَّرٍ ساحقٍ على الوثنيينَ، غيرِ مَشُوبٍ أو منقوصٍ. أمّا الزَّعمُ بأنَّ الله قد نَسَخَ قولَهُ: "إنَّها الغرانيقُ العُلا، وإنَّ شفاعَتَهُنَّ لتُرْتَجَى" بعدَ يومٍ وليلةٍ من نزوله، فقولٌ لا يَصمُدُ أمامَ حُجَّةِ العَقلِ التي لا تقبلُ التَّسليمَ بأنَّ اللهَ يَرْفَعُ إليهِ غداً ما أَنْزَلَهُ اليومَ. ولكنَّ القلمَ والقرطاسَ بأيدي المسلمينَ الذينَ مَكَّنهم الانتصارُ السَّاحقُ على خصومهم من قولِ ما يشاؤون، وجعْلهِ بالإكراهِ حقيقةً لا يُمَارَى فيها، شاءَ مَنْ شاءَ، وأَبى مَنْ أَبى. وبعدُ:

فُرُبَّما أمكننا الخلاصُ ـ بعد الذي أثبتناه في تضاعيف هذا البحث، من مفرداتٍ معرفيّة ـ إلى جملةٍ من النتائج، أبرزها:

1– إنَّ سَيِّدَنا إبراهيمَ عليه السَّلام سَبَقَ سيِّدَنا محمَّداً صلى الله عليه وسَلَّمَ إلى الإسلام، فَوَضَعَ ـ بينَ أيدي العرب ـ أركانَ الإسلامِ، وشعائِرَهُ غيرَ منقوصةٍ، مُمَثَّلةً بالصَّلواتِ الخَمْسِ، وشعائرِ الحَجِّ إلى بيتِ اللهِ الحَرامِ.

2– إنَّ بني قابيلَ من أولاد آدَمَ هم أَوَّلُ مَنْ صَنَعَ الأصنامَ، وسَنُّوا للناس سُنَّةَ الطَّوافِ بها، والعكوفِ عليها إرادَةَ تعظِيْمِ أو تكريمِ أشْباهِها من الأشخاصِ الأتقياءِ الصالحينَ الذين يَتَوَفَّاهُمُ الله.

3– إنَّ بلادَ الهند هي مَصْدَرُ أُوْلَى الأصنامِ الّتي عَرَفَتْهَا مكَّة، مُمَثَّلَةً هذه الأصنامُ بكلٍّ من: وَدّ، وسُواع، ويغوث، ويعوق، ونسر. أمّا بلادُ الشَّامِ فكانت ـ بالاستناد إلى بعض السَّرديات ـ مَصْدَرَ كُلٍّ من: هُبَل، وإساف، ونائلة.

4– إنَّ الصِّراعَ على السُّكْنَى في مَكَّةَ التي ضاقت بأهلِها كانَ سَبَبَ انتشار الأصنام والأنصاب في مختلف أنحاء شبه جزيرة العرب؛ ذلكَ أنَّ مَنْ أُرْغِمَ من بني إسماعيلَ على مُغادَرَةِ مكَّةَ حَمَلَ معه من حجارتِها ما يُذَكِّرُهُ بها. فَمَا نَصبوه من تلكَ الحجارة سُمِّيَ أصناماً، وما لم يُنْصَبْ منها سُمّيَ أنصاباً.

5– إنَّ كثيراً من الأصنام التي عظَّمَها وثنيو الجاهليّة إنّما هي تماثيلُ لأشخاصٍ عُرِفوا بالتقوى والصَّلاح، فما وجَدَتْ أقوامُهُم إلى تعظيمهم وتكريمهم ـ بعدَ وفاتِهم ـ سبيلاً أفضلَ من الدَّوَرانِ، أو الطَّوافِ بما يُشْبِهُهُمْ من تماثيلَ، وتقديم الأضاحي والقرابين عندَ هذه التماثيل (الأصنام)، والتَّصَدُّق على مَنْ يأتي هذه التماثيلَ مُتَبَرِّكاً أو مُسْتَعْطِياً.

6– بما أنَّ الأصنامَ تماثيلُ لأشخاص ذَوي مكانةٍ مرموقةٍ في أقوامهم، فإنَّ طَوافَ القوم بهذه التماثيل إنمّا هو تكريمٌ للأشخاص ذوي المكانة في أقوامهم، وليس تكريماً للأصنام بحدِّ ذاتها.

7– إنَّ الطُّقوسَ والشعائرَ الدِّينيّة للوثنيين تؤكِّدُ ـ بما لا يدعُ مجالاً للشَّكِّ ـ أنَّ الأصنامَ لم ترقَ بالنسبة إليهم إلى مستوى المعبود، ولمْ تُجاوِزْ ـ في أحسن حالاتها ـ حدَّ التَوَسُّلِ إلى اللهِ بها.

8– إنَّ كثيراً من أصنام الجاهليّة لم تكن مجَرَّدَ أحجارٍ، أو تماثيلَ يَعْكُفُ عليها المتعبِّدون، أو يطوفونَ بها، إنما كانت ـ بالإضافة إلى ذلك ـ مراكزَ لبيوتٍ هي أَشْبَهُ بالمُنتَجعات والمُتَنَزَّهات الدينيّة، الأمرُ الذي جعلها بيوتَ عبادةٍ من جهة، ومُنْشآتٍ أو مُؤَسَّسَاتٍ اقتصاديَّةً استثماريّةً رِبْحِيَّةً من جهة ثانية، ولذلك كان القيامُ على شؤونها، أو ما يُسَمّى بسَدَانتها محلَّ منافسةٍ شديدةٍ بينَ وُجَهاء بطونِ القبيلةِ، أو القبائلِ التي تعودُ إليها مُلْكِيّةُ الصَّنم، الذي يستَحْوِذُ سَدَنَتُهُ على جميع ما يَتَصَدَّقُ به المُتَعَبِّدونَ من أموالٍ مُخْتَلِفَةِ الأنواع.

9– لقد أَقَرَّ القرآنُ الكريم للوثنيين بعبادة الله، ولكنَّه رأى في عبادَتِهِمْ إيّاهُ مَشْفوعةً بالعكوفِ على الأصنام، والطَّوافِ بها ما جَعَلَها مشوبَةً بما لا يليقُ بها، ولذلك سَمَّاهُمْ مشركينَ بالله، ولمْ يُسَمِّهم بِمُنْكِرِي وجودِ الله. وشَتّانَ ما بينَ الأمرين؛ لأنَّ المُشْرِكَ بالله، مُقِرٌّ ـ بالضَّرورة ـ بوجود الله، إذ كيفَ يُشْرِكُ به، ما لمْ يعْتَرِفْ به أولاً. فالاعترافُ بوجود الله مادَّةٌ أوليّة للشِّرْكِ به. أمّا إنكارُ وجود الله فلا يؤولُ بصاحبه إلى الشِّركِ بهِ.

10– إنَّ بني شيثٍ من أولاد آدمَ هُمْ أَوَّلُ مَنْ سَنُّوا للخلقِ مِنْ بَعْدِهِمْ سُنَّةَ الطَّوافِ والدَّوَران حولَ ما يَرْمُزُ إلى مَنْ يريدونَ تعظيمَهُ، أو تكريمَهُ، وذلك **بطوافهم حولَ ضريحِ أبيهم آدمَ** في مَغَارَةِ جَبَلِ "نُوذ".

11– إنَّ الضَّريحَ الذي ضَمَّ جثمانَ سَيِّدِنا آدمَ عليه السَّلامُ، هو أَوَّلُ ما طافَ النَّاسُ بهِ، وعَكَفوا عليه، على سبيلِ تعظِيْمِ الرُّوحِ، أو الطّاقَةِ الَّتي فارَقَتْ الجثمانَ، لا على سبيلِ تعظيمِ الجثمانِ بذاته.

12– إنَّ كثيراً من مُسْلِمِي اليوم، والأمسِ قبلَهُ، يَتَعَبَّدونَ اللهَ على طريقة بني شِيث مُمَثَّلةً بزيارةِ أضرحةِ أو قبورِ الصَّالحينَ الأتقياءِ من رجالاتهم وعلماءِ الدِّينِ فيهم، فَيَتَقَرَّبونَ إلى الله بما يذبحونَه عندَ هذه الأضرحةِ من أَضاحٍ يُوَزِّعونَ لحومَها على مَنْ يكونُ حاضراً من زُوّارها، ويَضَعونَ في خَزائِنَ خاصَّةٍ بهذه الأضرحةِ، كما في أيدي القائمينَ على خِدْمَتها، ما قَدَّرَ اللهُ لهم أنْ يضعوهُ من أموالهم، كما أنَّهم يَعْكِفُونَ على تلك الأضرحة، ويطوفونَ بها، ويسألونَ اللهَ ـ أثناءَ ذلك كُلّه ـ قضاءَ حاجاتِهم، وتحقيقَ أمانيهم. فهل في شيءٍ من ذلكَ كُلِّه ما يُمْكِنُ أنْ يُعَدَّ شِرْكاً باللهِ؟! وفي جوابنا على هذا السُّؤالِ نقول: لا، وكَلّا، وحاشا لله أن يكونَ أحدٌ من هؤلاء ـ من وِجْهةِ نظرنا ـ قد أشرك بالله، علماً بأنهم يقومونَ عند هذه الأضرحةِ التي يُعَظِّمونَ أصحابَها، بكلِّ ما دَلَّتْنا مُفْرداتُ البحث على قيام وَثَنِيّي الجاهليّة به عندَ أصنامِهم، من عكوفٍ عليها، وطوافٍ بها، وذبحِ أضاحٍ عندَها، وتوزيع لحوم هذه الأضاحي على زُوَّارِها، ووضعِ أموالٍ في خزائنها، وتَوَسُّلِهمُ اللهَ حاجاتِهِمُ المختلفةَ في أثناء ذلك كُلِّه.

13– إنَّ إيمانَ الفردِ بقُدْرَةِ المُعَظَّمِ، أو المُقَدَّسِ من الأشياء كُلِّها، صَنَماً كانَ أو غيرَ صَنَمٍ، هو مَا يَمُدُّ هذه الأشياءَ بالقُدْرَةِ المزعومةِ على الفَعْلِ والتأثيرِ في غيره، فإذا تَجَرَّدَ هذا الفردُ ـ لسببٍ من الأسباب ـ من الإيمانِ بقُدْرة هذه المُقَدَّساتِ على الفعل في غيرها، فَقَدَتْ هذه المُقَدَّساتُ ـ بالفِعْلِ ـ قُدْرَتَها على التأثير في غيرها. وكثيراً ما يَعْرِضُ للإنسانِ المُؤمنِ عارضٌ أو حادثٌ يَنْتَقِلُ به من حالة الإيمانِ اليَقِيْنِيِّ، غيرِ المَشوبِ بقدرَةِ ما يُقَدِّسه على التأثير فيه أو بغيره، إلى حالة عدمِ الإيمانِ اليَقينيِّ أيضاً، بعدمِ قدرةِ هذه المُقَدَّسات على التأثير فيه أو بغيره. وقدْ مرَّ بنا في هذا البحث ما يدعَمُ ذلك ويؤكِّدُهُ؛ فـ "الفُلْسُ" صَنَمٌ لِطَيِّء منصوبٌ على رأس جَبَلٍ لهم، كانوا ـ بحسب ابن الكلبي يُعَظِّمونَهُ، وَيُهْدُونَ إِلَيْهِ، وَيَعْتِرُونَ عِنْدَهُ عَتَائِرَهُمْ، وَلا يَأْتِيهِ خَائِف إِلَّا أَمِنَ عِنْده، وكانتْ سَدانَتُهُ في بني" بُوْلانَ[77]"، فأخذَ رجلٌ منهم ناقةً لجارةِ مالكِ بنِ كُلْثوم الشَّمَجِيّ، وانطلقَ بها حَتَّى وَقَفَهَا بِفِنَاءِ الْفِلْسِ، فطلبتِ المرأةُ من مالكٍ إعادةَ ناقتها إليها، فذهبَ ليرى الناقةَ موقوفةً عندَ "الفِلس"، فقال لمَنْ أَخَذَها: خَلِّ سَبِيلَ نَاقَةِ جَارَتِي، فامتنعَ الرَّجلُ بدعوى أنَّ الناقةَ صارتْ وَقْفاً للصَّنم، فغَضِبَ مالكٌ، وهَدَّدَ الرّجل، وحَلَّ عِقالَ الناقةِ، وعادَ بها إلى صاحِبَتِها، فرفعَ سادنُ "الفِلْس" يديه إلى السّماء ورجا اللهَ الانتقامَ من مالك، وكانَ عَدِيُّ بنُ حاتمٍ الطائيّ حاضراً حينئذٍ، قد جاء "الفلْسَ"، وتَقَرَّبَ إلى الله عندَه بعَنْزَةٍ، فقال لنَفَرٍ معه: انْظُرُوا مَا سيفعلُهُ اللهُ بمالكٍ في يومِهِ هذا، جزاءَ ما ارتكبَهُ من إثمٍ بحقِّ "الفلس"، فلمّا مَضَتْ أيامٌ، ولم يُصَبْ مالكٌ بمكروه، تَرَكَ عَدِيٌّ الوَثَنِيَّة، وما عَظَّمَ "الفلس" أو سواه من الأصنام بعد ذلكَ، وتنصَّرَ، وبقيَ على نصرانيّتِه، حتى جاء الله بالإسلام فأسلم[78].

فلو أنَّ مكروهاً أصابَ مالكاً في هذا اليوم الذي انتزعَ فيه الناقةَ من فِناء "الفِلْس" لَما شَكَّ عَدِيٌّ للحظة واحدة، في أنَّ مكانةَ "الفِلْسِ" عند الله هي التي كانت وراءَ ما حلَّ بمالكٍ من أذى، أمّا وقد تَجَرَّأَ مالكٌ على انتزاعِ الناقة من حَرَمِ "الفلس" أو فِنائِهِ، غيرَ عابىءٍ بما يُقالُ عن كرامةِ "الفلس" عند ربّه، ولمْ يُمْسَسْ بسوء، فقدْ تزَعْزَعَتْ، بل تلاشَتْ ثقةَ

[77] ـ واحدٌ من بطون طيّء.

[78] ـ انظر قصّة اعتزال عَدِي بن حاتم العقيدة الوَثنية في كتاب الأصنام لابن الكلبي: 59. 61.

عَدِيٍّ بـ" الفلس"، فَفَقَدَ الإيمانَ بِعِظَمِ مكانةِ "الفلس" عند ربّه، وقربه منه، وفقَدَ "الفُلسُ" ـ بدوره ـ القُدْرةَ المُتَوَهَّمَةَ فيه على التأثير في شيءٍ غيرِه، ضُراً أو نفعاً[79].

ومثْلُ الذي حصلَ لِعَدِيٍّ بن حاتم الطائيّ، حصلَ لسادِنِ "سُواعٍ"؛ فقد ذُكِرَ أنَّ الرسول(ص) كَلَّفَ عمرَو بنَ العاص بهدم "سُواع" صَنَمِ هُذَيْل، فلمّا انتهى عمرو إلى الصَّنمِ، قال له السَّادِنُ: ماذا تُريدُ؟ فأجابَه: جئتُ لأهدمَ "سُواعاً"، فقال له: إنْ استطعتَ ذلك فافعلْ، إنَّكَ لنْ تُطيْقَ هدمَهُ، فهدمَهُ عمرُو، وقال للسَّادنِ ساخراً: أَرَأيتَ كيفَ يكونُ هدمُهُ، فأُسْقِطَ بيدِ السَّادنِ، وغادرَ الوَثَنيّة قائلاً: قدْ أسلمْتُ والله[80].

والذي لا شكَّ فيه عندنا أنَّ سادنَ "سُواع" كانَ مؤمناً بأنَّ عمرَو بنَ العاصِ لنَ يقدِرَ على هدم "سُواع"؛ لأنه مَحْمِيٌّ من الله، وليسَ إيمانُهُ هذا بالغريب؛ ألمْ نسمعْ نحنُ بأنَّ ثَمَّةَ جَرَّافاتٍ حاولتْ إزاحةَ أو إزالةَ ضريحِ هذا الوَلِيِّ أو ذاكَ، فعَجِزَتْ، وما وجَدَتْ إلى ذلك سبيلاً؟ ألمْ نسمعْ نحنْ بأنَّ ثمَّةَ امرأةً احتطبتْ منْ أشجارٍ خاصّةٍ بحَرَمِ مقامِ أو ضريحِ هذا الوليِّ أو ذاكِ، ثمَّ عَجِزَتْ عن إنزالِ حمولتها عن ظهرها، فعادتْ بما احتَطَبَتْهُ إلى حرم المقام الذي أبى اللهُ أنْ يستطيعَ أحدٌ السَطْوَ على ما وَقَفَهُ المُتَعَبِّدونَ له؟ فالذي لا مراءَ ـ عندَنا ـ فيه أنَّ ثَمَّةَ قاسماً مُشْتَرَكاً بين سادنِ "سُواع" وكلِّ مَنْ آمَنَ بَعَدَمِ استطاعة الجَرَّافات إزالةَ هذا الضَّريح أو ذاك، وأنَّ ثمَّةَ قاسَماً مشْتَرَكاً أيضاً بينَ أصحابِ هذه الأضرحة المُعَظَّمة عند أصحابها، وما هو من قبيل " سُواع " وأمثال "سُواع".

المراجع

1ـ القرآن الكريم.

1- The Holy Qur’an.

2ـ الأصنام: تأليف ابن الكلبي (أبي المُنذر، هشام بن محمد بن السائب بن بِشْر الكلبي) ت 204هـ. تحقيق أحمد زكي باشا، منشورات دار الكتب المصريّة بالقاهرة، الطبعة الرابعة 2000م.

2- Idols: Written by Ibn al-Kalbi (Abi al-Mundhir، Hisham bin Muhammad bin al-Sa’ib bin Bishr al-Kalbi) d. 204 AH. Edited by Ahmed Zaki Pasha، published by the Egyptian Book House in Cairo، fourth edition، 2000.

3ـ تاريخ الطبري: تأليف أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ت 310هـ. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، منشورات دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية 1967م.

3- History of al-Tabari: Authored by Abi Jaafar Muhammad bin Jarir al-Tabari، d. 310 AH. Investigated by Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim، Dar Al-Maarif publications in Egypt، second edition 1967 AD.

[79] ـ ولا تختلفُ في شيءٍ على الإطلاق نظرةُ عَدِيِّ بن حاتمٍ الطّائي إلى "الفُلْسِ" عن نظرة كثيرٍ مِنّا إلى مقاماتِ مَنْ نَعُدُّهم علماءَ أولياءٍ لله؛ فمنّا مَنْ لا يجرُؤُ على قَطْعِ غُصْنٍ ـ ولو صغيرٍ ـ من شجرةٍ خاصّةٍ بهذا المقام أو ذاك، إجلالاً واحتراماً لصاحب هذا المقام من جهةٍ، وخشيةً من انتقام الله ممّنْ يجرؤ على ذلك، ومِنّا مَنْ لا تعني له هذه المقاماتُ شيئاً، فيسطو على ما في خزائنها من أموالٍ إن استطاع، ويقوم في أرجائها وأفنيتها بما لا يليقُ القيام به بجوار مُعَظَّمٍ أو مُقَدَّس.

[80] ـ تاريخ الطبري: 66/3.

4 ـ تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) لأبي جعفر محمد بن جرير الطَّبري ت 310هـ. منشورات دار التربية والتراث بمكّة المكرمة، نسخة مُصَوَّرة عن تحقيق محمود محمد شاكر.

4- Interpretation of al-Tabari (Collection of the statement on the interpretation of verses of the Qur'an) by Abu Jaafar Muhammad bin Jarir al-Tabari، d. 310 AH. Publications of the House of Education and Heritage in Makkah Al-Mukarramah، an illustrated version of the investigation by Mahmoud Muhammad Shaker.

5 ـ ديوان عامر بن الطُّفيل: رواية محمد بن القاسم الأنباري عن أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب، منشورات دار صادر ببيروت، 1979.

5- Diwan Amer Bin Al-Tufayl: Narrated by Muhammad Bin Al-Qasim Al-Anbari on the authority of Abi Al-Abbas Ahmed Bin Yahya Tha'lab، Published by Dar Sader in Beirut، 1979.

6 ـ ديوان الهُذْليين: منشورات الدار القوميّة للطباعة والنَّشر بالقاهرة 1965. نسخة مُصَوَّرة عن طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة.

6- Al-Huthaliyyin Diwan: Publications of the National House for Printing and Publishing in Cairo 1965. An illustrated copy of the edition of the Egyptian Book House in Cairo.

7 ـ شرح المعلَّقات السّبع للزوزني(ت 486هـ) منشورات دار إحياء التراث العربي، ط1، 2002م.

7-Explanation of the Seven Mu'allaqat by Al-Zawzni (d. 486 AH)، published by the Arab Heritage Revival House، 1st edition، 2002 AD.

8 ـ الكامل في التاريخ: تأليف عزّ الدين ابن الأثير ت 630هـ. تحقيق عمر عبد السلام تدمري، منشورات دار الكتاب العربي ببيروت 1997.

8- Al-Kamil in History: Authored by Izz al-Din Ibn al-Atheer، d. 630 AH. Investigated by Omar Abdel Salam Tadmuri، Dar Al-Kitab Al-Arabi، Beirut، 1997.

9 ـ لسان العرب لابن منظور ت711هـ، منشورات دار صادر ببيروت، الطبعة الثالثة 1414هـ.

9- Lisan al-Arab by Ibn Manzoor، 711 AH، published by Dar Sader in Beirut، third edition 1414 AH.

10ـ معجم البلدان: لياقوت الحَمَوي ت 626هـ، منشورات دار صادر ببيروت، الطبعة الثانية 1995.

10- The Dictionary of Countries: Yaqut Al-Hamawi، 626 AH، published by Dar Sader in Beirut، second edition 1995.

11ـ المِلل والنِّحَل: تأليف أبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني ت 548هـ. منشورات مؤسسة الحلبي.

11- Al-Milal wal-Nihl: Written by Abi Al-Fath Muhammad bin Abdul Karim bin Ahmed Al-Shahristani، d. 548 AH. Al-Halabi Foundation Publications.